
اجاثا كريستي
الطائرة المفقودة



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

الطائرة المفقودة

Destination Unknown

تفقد "هيلاري كرافن" الرغبة في الحياة ... فقد ماتت السيدة "بيترتون" وكان على "هيلاري" أن تتقمص شخصيتها وتقتفي أثر زوجها - عالم الفيزياء النووية والذي رحل عنها - فإذا وجدته فقد تعود إليها رغبتها في الحياة. تحدث لها أمور: مثل خيط يجمع حبات من اللؤلؤ المشع، ورؤيتها لرجل مُعمر مجذوم يحك جسمه في رمال الصحراء الملتهبة ... كل هذه الأمور التي سوف تصادفها "هيلاري" تدعوها إلى اكتشاف شيء مروع يبدّل إحساسها المتحمس بالحياة ليحل محله إحساس بالرعب!

ثمن الكتاب

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال



الطائرة المفقودة

بونـارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

الطائرة المفقودة

(61)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

Destination Unknown

(1954)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

أزاح الرجل الجالس إلى المكتب ثقالة الورق إلى يمينه بضعة سنتيمترات. كان وجهه أقرب إلى أن يكون جامد السمات، خلوا من التعبير، أكثر من أن يكون غارقًا في التفكير، أو شارد الذهن.

وكان من الصعب عليك أن تتكهن بحقيقة عمره، فهو لايبدو شيخًا، ولا يبدو شابًا، فقد كانت بشرته ناعمة ملساء خالية من الغضون، وإن أطلت من عينيه نظرة تستشف منها الإعياء.

أما الرجل الآخر الذي يشاركه نفس الغرفة فأكبر منه سنًّا، وكان ملوَّح الوجه اسمراراً، وله شاربان صغيران عسكريّا الطراز. وكان يبدو ملولا لايستقر على مقعده، ولايفتأ يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، ومن حين لآخر يلقي بملاحظاته في كلمات حانقة.

انفجر يقول ساخطًا:

– كلها ليس سوى تقارير..! تقارير.. وتقارير، ولكن لانفع فيها.

تطلع الرجل الآخر الجالس إلى المكتب إلى الأوراق المكدسة أمامه، وقد رشقت فيها بطاقة تحمل هذه الكلمات "**بيترتون**" – "**توماس شارل**"، وبعد الاسم علامة استفهام كبيرة.

رفع الجالس إلى المكتب رأسه عن الأوراق، وقال:

– إنك بالتأكيد قرأت كل هذه التقارير.. ألم تجد فيها بادرة ذات جدوى؟

فأجاب الآخر متسائلاً:

– من يدري؟

– صدقت.. تلك هي المشكلة.. فلا أحد يستطيع أن يقطع برأي.

عقب الأكبر سنًّا بسيل من الكلمات، بدت وكأنها تنطلق من مدفع رشاش.

قال:

– تقارير من "روما".. وتقارير من "**تورينو**".. لقد شوهد في "**الريڤييرا**"..

وشوهد في "**أنتورب**" .. من المؤكد أنهم رأوه في "**أوسلو**" .. ومن المؤكد أنه رئي في "**ستراسبورج**" وكان سلوكه باعثًا على الريبة.. وكذلك شوهد في شاطئ "**أوستند**" وفي صحبته شقراء رائعة الجمال..والبعض لمحوه في شوارع "**بروكسل**" ومعه كلب سلوقي.

ثم أردف في نبرة ساخرة:

– لم يبق إذن إلا أن يشاهد في حديقة الحيوان، يحتضن حمارًا مخططًا وحشيًا..!

وقال صاحب المكتب:

– إنك رجل تفتقر إلى الخيال يا "**هوارتون**"، أما أنا فأعلق شيئًا من الأهمية على تقرير "**أنتورب**".

ارتمى الكولونيل "**هوارتون**" جالسًا على مسند مقعد، وقال في إلحاح:

– لكن يجب أن نميط اللثام عن هذا اللغز.. يجب أن نجد جوابًا عن هذه الأسئلة: "كيف؟. وأين؟" إنك لاتستطيع أن تسكت عن اختفاء عالم فذ كل شهر تقريبًا، ثم تجد نفسك عاجزًا عن الإجابة عن هذه الأسئلة الخفيفة:

"كيف، ولماذا، وأين؟" أتراه حيث تعتقد أنه موجود، أم أنه ليس هناك؟

ثم أردف:

– أتراك قرأت نتيجة التحريات الأخيرة عن "**بيترتون**" في "**أمريكا**"؟

أومأ الرجل الجالس إلى المكتب برأسه إيجابًا، وقال:

– نفس الميول اليسارية المعروفة، في الوقت الذي شاعت فيه واعتنقها الناس جميعًا..ميول غير ثابتة، وذات طبيعة غير مستقرة كما تبين فيما بعد.. وقبل الحرب أنجز أعمالاً مهمة ذات شأن، وعندما هرب "**مانهايم**" من "**ألمانيا**" عيَّن "**بيترتون**" مساعدًا له، وانتهى به الأمر إلى أن تزوج ابنة "**مانهايم**". ثم قفز إلى الشهرة باكتشافه المثير لتحطيم الذرة، والحق أن تحطيم الذرة كان دون شك اكتشافًا ثوريًا، دفع "**بيترتون**" إلى القمة، وجعل منه قطبًا من أقطاب العلوم الذرية؛ ولكن زوجته ما لبثت أن ماتت عقب الزواج، فانهار "**بيترتون**" حزنًا عليها، وفجعه

موتها، ثم جاء إلى "**إنجلترا**" ، وعمل في "**هارويل**" ثمانية عشر شهراً، ومنذ ستة أشهر تزوج للمرة الثانية.

فتساءل "**هوارتون**" في حدة:

– وما معلوماتنا عن زوجته؟

– لاشيء ذو أهمية.. كل ما نعرفة عنها أنها ابنة محام من أهل المنطقة، كانت تعمل في إحدى شركات التأمين قبل زواجها، وليس لها فيما عرفنا اتجاهات سياسية واضحة.

– وما الذي يقولونه عنه في "**هارويل**" ؟

– شخصية لطيفة محبوبة، أما عن عمله فلاشيء ذو شأن بارز.. ليس سوى تحسينات أدخلها على جهاز تفتيت الذرة.

ران الصمت على الرجلين برهة من الوقت، وكان حديثهما مجرد ثرثرة قطعًا للوقت، لاتتسم بشيء من الجدية؛ فإن تقارير الأمن لاتحوي عادة شيئًا جديراً بالاهتمام.

قال "**هوارتون**" متسائلاً:

– وبالتأكيد كانت تحركاته محل مراقبة منذ وضع قدميه في "**إنجلترا**" .

– وكان كل شيء مرضيًا تمامًا.

قال "**هوارتون**" متأملاً:

– ثمانية عشر شهراً وهو تحت المراقبة.. إنك تعلم أن هذه المراقبة تثير أعصابهم.. احتياطات الأمن المتواصلة، تحطم نفسياتهم، الشعور بأنهم دائمًا تحت المجهر.. هذه الحياة المحسوبة عليهم في كل حركة من حركاتهم وكل لفتة من لفتاتهم.. كل هذا كفيل بأن يجعلهم عصبيين، وأن يحملهم على تصرفات شاذة.. لقد رأيت الكثير من هذه الحالات.

سكت هنيهة ثم استطرد يقول:

– وعندئذ يبدأون في أن يحلموا بعالم مثالي، عالم تسوده الحرية والأخوة، وتشارك فيه الدول بأسرارها العلمية ذات الطابع العسكري، وتعمل متضافرة من

أجل خير الإنسانية.. وتلك هي اللحظة الملائمة لكي ينقض عليهم شخص لايهمه إلا أن يدمر الإنسانية. إنه يرى الفرصة السانحة، ويبادر إلى اقتناصها.

– وددت لو أنني عرفت المزيد عن "**بيترتون**". لاأعني بذلك حياته أو عمله، وإنما الأشياء الأخرى الصغيرة؛ فإن هذه الأشياء التافهة تكشف الكثير.. النكات التي تضحكه.. ما يستفزه ويثيره، وما يجعله يسب ويلعن.. الأشخاص الذين يعجب بهم أو يثيرون حنقه.

تطلع إليه "**هوارتون**" في عجب واستغراب، ثم تساءل:

– وماذا بشأن زوجته؟ أتراك استجوبتها؟

– عدة مرات.

– أما من فائدة ترجى منها؟

هز صاحب المكتب كتفيه وقال:

– لاشيء حتى الآن.

– أتعتقد أنها تعرف شيئًا؟

– إنها لم تعترف بالتأكيد بأنها تعرف شيئًا أو أنها لاحظت شيئًا.. لاقلق ولاحزن ولا يأس ولا اكتئاب. كانت تسير سيرًا طبيعيًا عاديًا، بلا ضغوط من أي نوع كان.. وهي تعتقد أن زوجها قد اختطف.

– وأنت لاتصدق هذا..؟

– إنني رجل كثير الوساوس والشكوك، ولهذا لاأصدق أحدًا.

وقال "**هوارتون**" في بطء وتمهل:

– على أية حال ينبغي للمرء أن يكون ذا ذهن متفتح، بعيد عن التشبث.

ثم أردف:

– ولكن ما رأيك في الزوجة؟

– طراز عادي تلقاه كل يوم منهمكًا في لعب البريدج.

– هذا يزيد الأمر صعوبة وتعقيدًا.

– إنها موجودة هنا الآن لمقابلتي، ومن جديد سوف نعيد ونبدأ فيما كنا فيه.

فقال "**هوارتون**" :

– الآن لاداعي لبقائي، فلا أريد أن أحتجزك أكثر من هذا؛ إذ ليس لدينا ما نتداول فيه، أليس كذلك؟

– بلى، لسوء الحظ، ولكني أريد منك أن تدرس تقرير "**وارسو**" وتتحرى عن دقة ما فيه من معلومات؛ إذ يتراءى لي أنه بداية طيبة.

أومأ "**هوارتون**" برأسه موافقًا وغادر الغرفة.

ورفع الجالس إلى المكتب سماعة التليفون، وأمر باستدعاء السيدة "**بيترتون**" لمقابلتها.

❁❁❁❁❁

جاءت نقرات خفيفة على الباب، ودخلت السيدة "**بيترتون**".

كانت امرأة طويلة القامة، في حوالي السابعة والعشرين من العمر، تتميز بشعر رائع أحمر اللون، ذي مسحة نحاسية.

لاحظ أن وجهها خال من التجميل، وأثارت هذه الملاحظات في نفسه الشعور بأن السيدة "**بيترتون**" تعرف شيئًا وأنها تخفي ما تعلم.

لقد علمته خبرته الطويلة أن المرأة المسرفة في حزنها وقلقها لاتهمل أبداً تجميل وجهها؛ فهي تعرف أن الحزن الشديد يضفي على وجهها سمة منفرة بشعة، فتبذل ما في وسعها لكي تصلح ما أفسده الحزن، ولكن لعل السيدة "**بيترتون**" آثرت ألا تتجمل؛ حتى تبث في نفسه الاعتقاد بأنها شاردة الذهن، غارقة في همومها، لاتحفل بنفسها.

رحب بها الرجل، وأشار إلى مقعد ودعاها إلى الجلوس، وقبل أن تستقر عليه هتفت به منبهرة الأنفاس:

– أوه سيد "**جيسوب**".! أما من نبأ عن زوجي؟

– يؤسفني يا سيدة "**بيترتون**" أن جشمتك مشقة الحضور، ولكني أخشى ألا تكون لديّ حتى الآن أنباء مؤكدة.

فعقبت "**أوليف بيترتون**" في كلمات سريعة:

– أعرف هذا، فإنك أشرت إلى ذلك في خطابك، ولكني كنت أرجو أن يكون قد بلغك نبأ جديد مذ بعثت إليّ برسالتك.. ولكني سعيدة بأنك دعوتني إلى الحضور، فاسوأ ما في الأمر أنني حين أخلو إلى نفسي في البيت لاأملك إلا أن أفكرّ وأتعذب، فلاشيء لدي أفعله سوى هذا.

– أرجو ألا يضايقك يا سيدة "**بيترتون**" أن أعود مرة أخرى إلى ما كنا فيه، وإلى ترديد نفس الأسئلة، ومعاودة الإلحاح على نفس النقط، فإن من المحتمل دائماً أن تبدو كلمة واحدة تكون مفتاحاً لحل اللغز، أو أن تذكري شيئاً نسيته في مرة سابقة.

فقالت:

– إني أدرك ذلك، فوجه إليّ مرةً أخرى نفس الأسئلة إذا طاب لك ذلك.

واستهل السيد "**جيسوب**" استجوابها بأن قال:

– كانت آخر مرة رأيت فيها زوجك في اليوم الثالث والعشرين من شهر آب (أغسطس)، أليس كذلك؟

– بلى، يا سيدي.

– وكان هذا عند مغادرته "**إنجلترا**" إلى "**باريس**"؛ لحضور أحد المؤتمرات؟

– نعم.

– وحضر زوجك اليومين الأولين من أيام انعقاد المؤتمر، ولكنه تخلف في اليوم الثالث، وتبين أنه ذكر لأحد زملائه أنه سيذهب بدلاً من ذلك في رحلة نهرية في نهر "**السين**".

فقالت السيدة "**بيترتون**":

– رحلة نهرية؟

– نعم.. في تلك القوارب التي تجوب نهر "**السين**".

ثم تأملها "**جيسوب**" بنظرة فاحصة وقال:

– أيدهشك هذا التصرف من جانب زوجك يا سيدة "**بيترتون**"؟

فأجابت في شيء من التردد:

– نعم يدهشني، فعهدي به أنه كان شديد الحرص على حضور المؤتمرات.

– هذا جائز، ومع ذلك فإن الموضوع الذي كان مطروحًا للمناقشة في المؤتمر في ذلك اليوم لم يكن من الموضوعات التي تهم زوجك؛ ولذلك آثر أن يتخلف عن الجلسة، وأن يمنح نفسه عطلة يرتاح فيها، ولكن ألا يبدو لك غريبًا أن زوجك مولع بالرحلات؟

هزت رأسها إيجابًا، واستطرد "جيسوب":

– وفي تلك الليلة لم يرجع زوجك إلى فندقه، وطبقًا لمعلوماتنا المؤكدة فإنه لم يعبر الحدود، أوعلى الأقل لم يستخدم جواز سفره في اجتيازها. هذا إذا كان قد عبرها.

ثم أردف يسألها:

– أتعتقدين أن لزوجك جواز سفرآخر؟ باسم مستعار مثلاً..؟

– كلا بالتأكيد.. ما الذي يدعوه إلى هذا؟

– ألم تري في متاعه قط مثل هذا الجواز؟

هزت رأسها نفيًا بشدة واضحة وقالت:

– كلا. إنني لاأصدق أبدًا أنه يمكن أن يقدم على هذا.. إنه لايمكن أن يغادر "**باريس**" عمدًا أو اختيارًا كما تحبون أن تصوروا اختفاءه.. لابد أن شيئًا حدث له، أو أنه فقد ذاكرته.

– أكانت صحته عادية وسليمة؟

– نعم.. كان يجهد نفسه في العمل، وفي بعض الأحيان يحس بأنه متعب مكدود، ولكن لاشيء أكثر من هذا.

– ألم يكن يبدو قلقًا، أو مكتئبًا لأي سبب كان؟

وبأصابع مرتعدة فتحت حقيبتها؛ وتناولت منديلها وسترت به وجهها. وتهدج صوتها وهي تقول:

– إن الأمر فظيع جدًا..!

إني لاأستطيع أن أصدق ما حدث.. إنه لم يسافر قط دون أن يخطرني، لابد أن شيئًا حدث له.. إما أن يكون قد اختطف، وإما أن اعتداء وقع عليه.

إني أحاول دائمًا أن أطرد الأفكار والوساوس من ذهني، ولكنني في بعض

الأحيان لاأملك إلا أن أتخيل أن التعليل الوحيد هو أنه قتل!

– أرجوك يا سيدة "**بيترتون**" أن تنزعي هذا الخاطر من رأسك، إذا كان قد قتل، فلابد أن تكون جثته قد اكتشفت الآن.

– وما يدرينا أن يكون قد اغرق في أحد الأنهار مثقّلاً بالأحجار؟ هذا هو ما يحدث في بعض الأحيان.

– إنك تسرفين في الأوهام والتخيلات يا سيدة "**بيترتون**".

أزاحت المنديل عن عينيها، وحدجته بنظرة يتبدى فيها غضب شديد، وقالت:

– إني أعرف ما يدور بخلدك، ولكن الأمر ليس كما تتصور.. إن "**توم**"لا يمكن أن يبيع الأسرار أو يفشيها. إنه لم يكن شيوعيًا أو فاشيستيا حتى يفشي أسراراً إلى هؤلاء أو أولئك.

فسألها:

– وما عسى أن تكون معتقداته السياسية يا سيدة "**بيترتون**"؟

أجابت:

– أعتقد أنه كان في "**أمريكا**" ديمقراطيًا، وهنا في "**إنجلترا**" كان يصوت مع حزب العمال.. وعلى أية حال، فإنه لم يكن يهتم بالسياسة.

ثم أضافت في نبرة منطوية على التحدي:

– إنه كان "عالما" قبل كل شيء..وكان عالما فذا لامعًا.

فقال "**جيسوب**":

– تمامًا.. كان عالمًا فذا لامعًا، وتلك هي المشكلة. ما يدرينا أنه عرض عليه مرتبًا ضخمًا أغراه بمغادرة البلاد ليعمل في مكان آخر؟

تفجر الغضب في صوتها، وهي تقول في انفعال:

– ليس هذا صحيحًا.. هذا هو ما تحاول الصحف أن توحي به وتثبته في الأذهان.. هذا هو ما يدور في رءوسكم جميعًا عندما جئتم إليّ لتستجوبوني.. ولكنه ليس صحيحًا!

إنه ما كان ليرحل قط إلا إذا أخطرني، أو على الأقل أعطاني فكرة عن نيته.

– وهل هو لم يخبرك بشيء؟ أي شيء؟

وللمرة الثانية كان يحدجها بنظرة فاحصة.

أجابت:

– لاشيء على الإطلاق.. إنني لاأعرف أين هوالآن، ولكنني أعتقد أنه إما أن يكون قد اختطف.. أو قتل!

– إني آسف يا سيدة "**بيترتون**".. آسف جدًّا.. ولكن أرجوك أن تتأكدي من أننا نبذل أقصى ما في وسعنا؛ لنعرف حقيقة ما وقع لزوجك.. إننا نتلقى كل يوم تقارير من مختلف الجهات.

فتساءلت في حدة:

– وما الذي تحويه هذه التقارير؟

– إننا لانزال ندرسها ونتبين صحتها من زيفها، ولكنها بوجه عام غامضة ليس فيها شيء قاطع.

فعادت تردد في صوت نابض باليأس:

– ولكن يجب أن أعرف ما فيها.. إنني لاأستطيع أن أستمر على هذا.

وران عليهما الصمت برهة، ثم قال "**جيسوب**":

– الذي أحاول أن أصل إليه يا سيدة "**بيترتون**" هو أن أتمثل صورة صادقة لزوجك.. أي نوع من الرجال هو، ولكنني أرى أنك لاتحاولين أن تساعديني.

فأجابت:

– وما عساي أستطيع أن أقول أكثر مما قلت؟ لقد أجبت عن جميع أسئلتك.

– صحيح أنك أجبت عن أسئلتي،ولكن معظم إجاباتك كانت بالنفي أو الإنكار.. إنني أريد ردًّا إيجابيًّا. ردًّا بناء.. هل تدركين ما أعني؟ إنك تستطيعين أن تنفذي إلى خبايا الرجل ودخائله، إذا عرفت أي نوع من الرجال هو.

تريثت برهة مفكرة ثم قالت:

– فهمت.. وكل ما أستطيع أن أقوله هو أن "**توم**" كان رجلاً مرحًا لين العريكة.. وكان بالتأكيد قديرًا في مهنته.

ابتسم "**جيسوب**" ثم قال:

– هذه أوصاف عامة يمكن أن تنطبق على أي إنسان. ألا يمكن أن نتكلم عن صفات ذات طابع شخصي.. صفات أكثر التصاقًا به.. مثلاً: هل هو مولع بالاطلاع والقراءة؟

– نعم. إنه يقرأ كثيراً.

– أي نوع من الكتب يؤثره؟

– تراجم المشهورين وسير حياتهم.. وكذلك كتب الاجتماع أيضًا، وقصص الجريمة عندما يكون مجهداً.

– إذن فهو قارئ تقليدي كمعظم الناس.. ثم أردف يسألها:

– هل يلعب الورق أو الشطرنج؟

– إنه يلعب البريدج.. وقد اعتدنا أن نلاعب الدكتور "**إيفانز**" وزوجته مرة أو مرتين في الأسبوع.

– هل لزوجك أصدقاء كثيرون؟

– نعم.. فهو يحب الاختلاط والحياة الاجتماعية.

– ليس هذا ما عنيت.. وإنما أردت أن أسأل.. عما إذا كان رجلاً يولي أصدقاءه اهتمامًا شديداً.

– إنه يلعب الجولف عادة مع واحد أو اثنين من جيراننا.

– أليس له أصدقاء حميمون، أو خلان قدماء؟

–كلا.. إنك تعلم أنه ولد في "**كندا**"، وأمضى في "**الولايات المتحدة**" ردحًا طويلاً من الزمن، فلم تتهيأ له الفرصة لمعرفة الكثيرين.

تطلع "**جيسوب**" في ورقة منشورة أمامه على المكتب وقال:

– إننا نعرف أن ثلاثة أشخاص من "**الولايات المتحدة**" زاروه في الأيام الأخيرة، وأسماؤهم مسطورة لديّ هنا.. وطبقًا لتحرياتنا، فإن هؤلاء الثلاثة هم الوحيدون الذين زاروه "من خارج البلاد"؛ ولذلك فإننا نولي أمرهم اهتمامًا خاصًا، وأولهم هو "**ولتر جريفيث**"،وقد زاركم في "**هارويل**".

– هذا صحيح، فقد جاء إلى "**إنجلترا**"، وحضر لزيارة "**توم**".

– وماذا كان رد الفعل عند زوجك؟

– دهش "**توم**" لرؤيته، ولكنه كان سعيداً جداً بهذه الزيارة؛ فقد كانت بينهما في "**أمريكا**" معرفة وثيقة.

فسألها "**جيسوب**":

– على أية صورة بدا "**جريفيث**" في نظرك؟

– ولكنكم حتماً تعرفون كل شيء عنه؟

– نعم. إننا نعرف عنه كل شيء، ولكني أريد أن أسمع منك أنت رأيك فيه.

فكرت برهة ثم أجابت:

– إنه يبدو رجلاً جاداً، يبعث مجلسه على الضجر. وكان مهذباً جداً شديد المجاملة في لقائه معي. ولاح لي أنه مولع جداً بـ"**توم**"، ومتلهف إلى أن يحدثه عما جرى في "**الولايات المتحدة**" منذ أن بارحها "**توم**" إلى "**إنجلترا**".. وأظن أن حديثه كان يدور حول الأخبار المحلية، ولكنه لم يكن بالنسبة إليّ حديثاً مسلياً؛ إذ لم أكن أعرف أحداً ممن يتحدث عنهم، وعلى أية حال فقد كنت بسبيل إعداد العشاء؛ ولذلك تركتهما معاً يستعيدان الذكريات القديمة.

– ألم يتحدثا في السياسة؟

تضرج وجه السيدة "**بيترتون**" احمراراً وقالت:

– لعلك تحاول أن تلمح إلى أن "**جريفيث**" شيوعي أو فاشيستي؟ إنني واثقة بأنه ليس هذا أو ذاك.. إنه فيما أعتقد موظف في مكتب النائب العام.

– والآن فلننتقل إلى الزائر الثاني، الذي جاء من وراء البحار الدكتور "**مارك لوكاس**".. إنكما التقيتما به مصادفة في فندق "**دورسيت**".

– هذا صحيح.. كنا نتناول العشاء في "**دورسيت**" بعد خروجنا من المسرح، فإذا بنا نلتقي فجأة بهذا الرجل. إنه يعمل باحثاً كيماوياً، وآخر مرة التقى فيها بـ"**توم**" كانت في "**الولايات المتحدة**" وهو لاجئ ألماني، اكتسب الجنسية الأمريكية، وأنت بالتأكيد تعرف كل هذا.

فقال "**جيسوب**" :

– نعم. إني أعرف هذا يا سيدة "**بيترتون**" .

ثم أردف :

– وهل دهش زوجك لرؤيته؟

– نعم، دهش جداً.

–وهل سر بلقائه؟

– نعم. نعم .أظن هذا.

– ولكنك لست متأكدة؟

– لقد فهمت من "**توم**" فيما بعد أن هذا الرجل لايهمه.

– وهذا اللقاء، أكان مجرد مصادفة؟ ألم يكن هناك تدبير سابق، بحيث يبدو اللقاء عارضًا؟

– كلا.. بل كانت مقابلة عارضة.

واستطرد "**جيسوب**" :

– أما الزيارة الأخيرة، فقد كانت صاحبتها سيدة تدعى "**كارول أسبيدر**" وكانت هي الأخرى قادمة من "**الولايات المتحدة**" ، فكيف تمت هذه المقابلة؟

فأجابت السيدة "**بيترتون**" :

– أعتقد أنها موظفة بالأمم المتحدة، وكانت قد تعرفت إلى "**توم**" عندما كان مقيمًا في "**أمريكا**" ، وقد اتصلت به تليفونيًّا من "**لندن**" ، وأخبرته بوجودها في "**إنجلترا**" ، وسألته عما إذا كنا نستطيع أن نتناول الغداء معًا في يوم من الأيام، ولكننا اعتذرنا عن عدم تلبية دعوتها.

– إنك أنت التي لم تزوريها، أما زوجك فقد لبَّى الدعوة.

فحملقت إليه دهشة وهي تقول :

– ماذا تقول؟

– ألم يقل لك زوجك إنه زارها؟

– كلا.. لم يخبرني بشيء.

وبدت السيدة "**بيترتون**" قلقة ومرتبكة، وأحس الرجل الذي يستجوبها بالرثاء لها.

غمغمت الزوجة في صوت خافت مأخوذ:

– من الغريب أنه لم يحدثني بشيء عن زيارته لها.

واستطرد "**جيسوب**":

– لقد تناول الغداء معها في فندق "**دورسيت**"، حيث كانت السيدة "**أسبيدر**" تقيم، وكان ذلك في يوم الأربعاء 12 آب (أغسطس).

فقالت متأملة:

– الأربعاء 12 آب (أغسطس)؟

– نعم.. لقد ذهب إلى "**لندن**" في ذلك اليوم، ولكنه لم يشر قط إلى التقائه بها.

ثم تفجر على لسانها السؤال الذي كان يدور في رأسها:

– ما شكلها؟ ماهيئتها؟

– ليست من النوع الرائع الخلاب يا سيدة "**بيترتون**". إنها امرأة شابة كادحة في الثلاثين من العمر، وليست من النوع الذي يسترعي الأنظار، وليس هناك ما يدل مطلقًا أنها على صداقة وثيقة بزوجك، وهذا ما يدعو إلى التساؤل عماحدا به إلى كتمان الأمر عنك.

– نعم. نعم. هذا غريب حقًّا.

– والآن أرجوك يا سيدة "**بيترتون**" أن تفكري جيداً..ألم تلاحظي أي تغيير في سلوك زوجك منذ ذلك اليوم؟ أي حوالي منتصف شهر آب (أغسطس)؟ أعني قبل سفره إلى المؤتمر بنحوأسبوع؟

– كلا.. كلا.. لم الاحظ أي شيء.. كان سلوكه عاديًّا لم يطرأ عليه تغيير.

ودق جرس التليفون الداخلي الموضوع على مكتبه، فتناول السماعة وأدناها من أذنه، وجاءه صوت من الطرف الآخر يقول:

– هنا رجل يريد أن يقابل أحد المسؤولين بشأن موضوع "**بيترتون**".

– ما اسمه؟

خطَّ "**جيسوب**" الاسم على قصاصة أمامه، ثم قال:

– أهو بولندي الجنسية؟

– لاأدري يا سيدي. إنه يتكلم الإنجليزية بطلاقة، ولكن بلكنة أجنبية.

– حسنًا. اطلب إليه أن ينتظر.

دفع "**جيسوب**" إلى "**أوليف بيترتون**" بالقصاصة المسطورة عليها الاسم وسألها:

– أتعرفين أحدًا بهذا الاسم؟

اتسعت عيناها دهشة وهي تقرأ الاسم، وخيل إلى "**جيسوب**" أن بادرة من الخوف غشيت عينيها لحظة:

– نعم، إني اعرفه.. لقد بعث إليّ بخطاب بالأمس.. إنه ابن عمة زوجة "**توم**" الأولى.. وقد وصل لتوه إلى هذه البلاد، وكان شديد الاهتمام بمسألة اختفاء "**توم**"، فكتب إليّ يسألني عما إذا كانت لدي أية أنباء عنه.

– ألم تسمعي عنه من قبل؟ ألم تتقابلا؟

فهزت رأسها نفيًا وأجابت:

– كلا.. لم يحدثني زوجي عنه قط، ولم ألتق به في يوم من الأيام.

– إذن فمن المحتمل أن يكون مدعيًا؟

– هذا الخاطر لم يدر بذهني.

ثم أردفت:

– كانت زوجة "**توم**" الأولى أجنبية. إنها ابنة البروفيسور "**مانهايم**". وهذا الرجل كما بدا من خطابه يعرف كل شيء عنها وعن "**توم**"، ولكن إذا كان مدعيًا فما هدفه من وراء ذلك؟

فأجاب "**جيسوب**" باسمًا:

– هذا هو السؤال العويص الذي يتردد على شفاهنا في هذا المكتب.. إننا دائمًا نسأل أنفسنا ما الهدف من ذلك؟ ومع ذلك فالجواب دائمًا مستعص لاسبيل إليه.

قالت "**أوليف بيترتون**":

– إني لم أعد أطيق هذه الحال. لاشيء إلا أن أجلس وأنتظر.. إني أريد أن

أسافر إلى أي مكان على سبيل التغيير.. وإني أفضل أن أسافر إلى الخارج؛ لأروِّح عن نفسي.. إنني أوشكت أن أنهار. إني أحاول أن أتشبث بالشجاعة، ولكن أعصابي لم تعد تحتمل .. ولقد كتبت إلى طبيبي أستطلع رأيه، فأشار عليَّ بضرورة السفر على سبيل الاستجمام ثلاثة أوأربعة أسابيع.

وأخرجت من حقيبتها خطاب الطبيب، ودفعت به إلى "**جيسوب**"، فقرأه وأعاده إليها فسألته:

– أيمكن أن تسمحوا لي بالسفر؟

فتطلع إليها في دهشة وقال:

– بالتأكيد يمكنك أن تسافري متى شئت يا سيدة"**بيترتون**".

– كنت أخشى أن تعترضوا.

– ولماذا نعترض؟ كل ما هنالك هو أني أريد أن أعرف مقرك؛ لأتصل بك إذا جاءتني بعض الأنباء.

فأجابت:

– في نيتي أن أسافر إلى مكان مشمس.. "**إسبانيا**" أو"**مراكش**".

– إذن أرجو لك رحلة طيبة.

وانصرفت وهي لاتزال بادية القلق والاضطراب.

- 2 -

ما إن انصرفت "**أوليف بيترتون**" حتى استدعي الزائر الذي كان في الانتظار إلى مقابلة السيد"**جيسوب**".

قال الزائر وهو يستوي جالسًا على أحد المقاعد:

– أنا الميجور "**جلايدر**"، وهاك خطاب تعريف من السفارة الأمريكية.

وجرى"**جيسوب**" بعينيه على سطورالخطاب في نظرة سريعة. ثم وضعه أمامه على المكتب، وسأله:

– أية خدمة أستطيع أن أؤديها إليك يا "ميجور"؟

– إنني قادم لتوي من "**الولايات المتحدة**"، وقد جئت إليك لأسألك عما إذا كانت لديك أنباء جديدة عن "**توماس بيترتون**"، الذي اختفى أخيراً بطريقة مثيرة. إن المرء لايستطيع أن يصدق دائمًا ما تنشره الصحف، وقد قيل لي إنك الوحيد الذي لديه معلومات موثوق بها.

فقال "**جيسوب**":

–يؤسفني أنه ليست لدي معلومات مؤكدة عن "**بيترتون**".

– لقد خطر لي أنه ربما أوفد إلى الخارج في مهمة خاصة.. مهمة سرية.

فقال "**جيسوب**" في كلمات متمهلة:

– إن "**بيترتون**" يا سيدي العزيز ليس سوى عالم، وليس دبلوماسيًّا أو عميلاً سريًّا.

فاستطرد الميجور "**جلايدر**" بنفس اللهجة الجدية:

– إن الألقاب كثيراً ما تكون خداعة يا سيد "**جيسوب**". ولعلك الآن تتساءل عما يدفعني إلى الاهتمام بهذا الموضوع. إن "**توماس بيترتون**" يمت إليَّ بصلة القربى عن طريق الزواج.

– إنك فيما أعتقد ابن أخت البروفيسور "**مانهايم**"؟

– آه.. إنكم هنا تتحرون عن كل إنسان.

فغمغم "**جيسوب**" باسما:

– إن الناس يأتون إلينا هنا ويفضون إلينا بما لديهم.. لقد كانت السيدة "**بيترتون**" هنا، وهي التي أخبرتني بهذا.. وقالت أيضًا إنك بعثت إليها برسالة.

– نعم.. كتبت إليها أعزيها، وأسألها عما إذا كان لديها أنباء جديدة.

واستطرد الميجور "**جلايدر**" يقول:

– إن أمي هي الأخت الوحيدة للبروفيسور "**مانهايم**"، وكانا شديدي التعلق ببعضهما. وعندما كنت طفلا كنت أقضي معظم الوقت في بيت خالي، وكانت "**إلزا**" بالنسبة إلي بمثابة أخت شقيقة. وعندما مات أبي وأمي انتقلت للإقامة في بيت خالي، وكانت أيامًا سعيدة، ثم جاءت الحرب بويلاتها ومآسيها، وهرب خالي و"**إلزا**" إلى "**أمريكا**". أما أنا فبقيت في "**بولندا**"، وانضممت إلى المقاومة

السرية، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها سافرت إلى "**الولايات المتحدة**"؛ لأزور خالي وابنة خالي، هذا هو كل شيء، وتابع الحديث قائلاً:

– وبعد أن فرغت من إنجاز المهام التي أوكلت إليّ في "**أوربا**" قررت أن أستقر في "**الولايات المتحدة**" بصفة دائمة؛ لأكون عن كثب من خالي وابنة خالي وزوجها، ولكن وا أسفاه! ما كدت أصل إلى "**أمريكا**" حتى مات خالي في حادث سيارة، ثم ماتت "**إلزا**" ابنة خالي. أما "**توماس بيترتون**" زوج ابنة خالي فرحل إلى "**إنجلترا**" وتزوج للمرة الثانية، وعدت أنا كما كنت من قبل بغير أسرة أرتبط بها. وعندئذ قرأت في الصحف نبأ اختفاء العالم الشهير "**توماس بيترتون**"، فحضرت إلى "**إنجلترا**" لأرى ما يمكن عمله .

وتراخى الميجور "**جلايدر**" في مقعده وقال متسائلاً:

– يا سيد "**جيسوب**" .. لماذا اختفى "**بيترتون**"؟

فقال "**جيسوب**" :

– تمنيت لو أني عرفت.

ولكنك تشتبه في شيء ما على الأقل؟

فقال "**جيسوب**" في حذر:

– هذا جائز، فاختفاء "**بيترتون**" ليس الأول من نوعه.

– هذا صحيح، فقد قرأت عن الكثير من حوادث الاختفاء.

وأخذ الزائر يشير في كلمات سريعة إلى عدد من حوادث الاختفاء، التي وقعت في العهد الأخير. ثم عقب بقوله:

– وكلهم من العلماء! أليس هذا غريبًا؟

ولبث "**جيسوب**" صامتًا، فاستطرد الميجور "**جلايدر**" :

– أتراهم ذهبوا إلى ما وراء الستار الحديدي؟

– هذا أحد الاحتمالات، ولكنه ليس احتمالاً قاطعًا، فمن المحتمل أنهم انضموا إلى إحدى الجماعات السرية الفاشيستية، أو أنهم ضاقوا بعملهم.

–ولكنهم بالتأكيد ذهبوا طواعية واختياراً؟

فقال "**جيسوب**" :

– حتى هذا سؤال من الصعب الإجابة عنه.

ثم أردف:

– ولكن ما سر اهتمامك بـ"**بيترتون**" ، وهو بالنسبة إليك ليس سوى نسيب عن طريق الزواج؟ بل إنك لم تقابله قط في حياتك.

– هذا صحيح، ولكن الأسرة عندنا معشر البولنديين من الروابط الوثيقة، وهي تفرض علينا التزامات لانملك أن نتحلل منها.

ونهض "**جلايدر**" واقفًا، وأحنى رأسه تحية في جفاء وقال:

– يؤسفني أن شغلت من وقتك أكثر مما ينبغي، شكرًا على أنك قابلتني.

ونهض "**جيسوب**" واقفًا وهو يقول:

– يؤسفني أني لم أستطع أن أساعدك، ولكني أحب أن أؤكد لك أننا لانعرف شيئًا على وجه اليقين، ولكن إذا بلغني أي نبأ، فأين يمكن أن أتصل بك؟

– طرف السفارة الأمريكية، وأكرر لك الشكر.

وللمرة الثانية انحنى تحية، واستدار منصرفًا. ورفع "**جيسوب**" سماعة التليفون يدعو الكولونيل "**هوارتون**" إلى مكتبه. وابتدره "**جيسوب**" بقوله:

– أخيرًا بدأت الأمور تتحرك.

– حقًا؟ وكيف حدث هذا؟

– السيدة "**بيترتون**" تريد أن تسافر إلى الخارج.

– أتراها تنوي أن تلحق بزوجها؟

– هذا ما أرجوه.. لقد جاءتني مزودة بتقرير طبي ينصحها بالسفر طلبًا للراحة والاستجمام.

– تدبير محكم منها.

ثم قال محذرًا:

– ومع ذلك فقد تكون حقًا مقبلة على انهيار عصبي.

وتساءل "**هوارتون**" :

– هل استطعت أن تنتزع منها شيئًا؟

– ليس سوى بادرة ضعيفة.. "**بيترتون**" كتم عن زوجته أنه تناول الغداء في فندق "**دورسيت**" مع هذه المرأة المدعوة "**أسبيدر**".

فغمغم "**هوارتون**" قائلا:

– أتعتقد أن لهذا صلة باختفائه؟

– ربما.. فقد سبق أن استجوبت "**كارول أسبيدر**" أمام لجنة فحص النشاط المعادي لـ"**أمريكا**"، وإن كانت قد استطاعت أن تثبت براءتها.

وتساءل "**هوارتون**":

– وهل اتصلت السيدة "**بيترتون**" بأحد فأصدر إليها تعليماته بالسفر إلى الخارج؟

– لم يزرها أحد في بيتها، وإن كانت قد تلقت بالأمس خطابًا من رجل بولندي هو ابن عمة زوجة "**بيترتون**" الأولى، وقد كان هنا في مكتبي منذ قليل يستفسر عما لدي من أنباء.

– أيكون هو الذي حرضها على السفر؟

– هذا محتمل، وإن كنت لاأدري الحقيقة.

– وهل تنوي أن تضعه تحت المراقبة؟

فأجاب "**جيسوب**":

– بل وضعته فعلاً، فقد دققت الجرس السري مرتين بمجرد خروجه من مكتبي.

فضحك "**هوارتون**" قائلاً:

– يا لها من رموز سرية تفيد في حالات الاستعجال!

وعاد "**هوارتون**" يتساءل:

– وإلى أية جهة تنوي السيدة "**بيترتون**" أن تسافر؟ إلى "**سويسرا**"؟

– بل إلى "**مراكش**" أو "**إسبانيا**".

وقلب "**جيسوب**" بطرف أصبعه التقارير المكدسة أمامه.

– هذان هما البلدان الوحيدان اللذان لم يرد إلينا منهما أي تقرير عن

"**بيترتون**".

وتراخى "**جيسوب**" في مقعده، وأسند رأسه إلى ظهر المقعد وهو يقول:

– إنني لم أقم بعطلة منذ شهور، ولعل مما يفيد صحتي أن أسافر إلى الخارج في هذه الأيام!!

فضحك "**هوارتون**" وقال:

– بالتأكيد إلى "**مراكش**" أو "**إسبانيا**" وفي أعقاب السيدة "**بيترتون**"..

والتقت نظراتهما في تفهم كامل.

- 3 -

"انتبهوا..! انتبهوا..! شركة "**إيرفرانس**"... الرحلة رقم 108 المتجهة إلى "**باريس**"..."

نهض الجالسون في قاعة الانتظار في مطار "**هيثرو**"، وتقاطروا متجهين إلى الباب، ينشدون الطائرة التي ستقلهم إلى "**باريس**".

وتناولت "**هيلاري كرافن**" حقيبة سفرها صغيرة الحجم، وانضمت إلى موكب المسافرين.

كان الجو بارداً لاذعًا في ساحة المطار، وشدت "**هيلاري**" معطفها الفراء حول عنقها لتقي نفسها لسعات البرد، وهي تقفو المسافرين إلى حيث تستقر الطائرة.

إذن فقد انتهى الأمر! ها هي ذي منطلقة هاربة بعيداً عن الاكتئاب والبرد، والبؤس المميت.. هاربة إلى الشمس المشرقة، والسماء الزرقاء الصافية إلى حياة دافقة.. وستطرح وراءها كل الهموم والأثقال، هذه الهموم المتسمة بالبؤس والقلق.

تابعت طريقها إلى ممر الطائرة،واستقرت على المقعد الذي أرشدتها إليه المضيفة. ولأول مرة منذ عدة أشهر خالجها شعور بالراحة من العذاب الذي أمضّها بقسوة، حتى لقد أحست منه بما يشبه الألم الجثماني.

وهتفت تحدث نفسها في أمل ورجاء: "سأهرب! سأبتعد! نعم.. سأبتعد!"

وانتزعها من خواطرها أزيز الطائرة الصاخب، ولكنها ما لبثت أن عادت تردد في

نفسها: "الآن سأذهب وأبتعد".

وبدأت الطائرة تنزلق على أرض الممر، وقد شد المسافرون أحزمة الأمان على بطونهم، ودارت الطائرة نصف دورة في ساحة المطار، ثم توقفت تنتظر إشارة الرحيل.

وخطر لـ"**هيلاري**": "ما يدريني أن الطائرة قد تتحطم! وعندها تكون تلك هي النهاية. الحل الموفق لكل شيء".

وخيل إليها أنهم انتظروا في ساحة المطار دهراً.. دهراً طويلاً لاينتهي، مترقبين إشارة الرحيل إلى الحرية.

وهمست "**هيلاري**" تخاطب نفسها: "يبدو أنني لن أسافر أبداً.. سأظل هنا حبيسة لا أستطيع الفرار".

وأخيراً هدرت المحركات من جديد، وبدأت الطائرة تجري على الممر الممهد المرصوف.. أسرع، ثم أسرع ثم أسرع.

"ولكن من يدري.. ربما لن تعلو في الجو..! أتكون هذه إذن هي النهاية؟"

ولكن الطائرة أخذت تعلو في الجو، وبدأوا يبتعدون عن سطح الأرض، وبدا كل شيء صغيراً ضئيلاً– حتى الهموم تضاءلت وانكمشت، وحتى القلق تبدد وتوارى، وبدت الأبنية والسيارات كأنها لعب أطفال.

والآن كانوا فوق السحب البيضاء! المشوبة بمسحة رمادية. لابد أنهم الآن فوق القناة الإنجليزية

وأرخت "**هيلاري**" جفنيها وأطبقت عينيها، وأسندت رأسها إلى ظهر المقعد.

الهرب. .الهرب..! ها هي ذي قد غادرت "**إنجلترا**" إلى غير رجعة..

ها هي ذي قد خلفت وراءها "**نايجل**"، وخلفت وراءها تلك البقعة التي هي قبر "**بريندا**". كل هذا خلفته وراءها بعيداً بعيداً.

فتحت "**هيلاري**" عينيها، وعادت تطبقهما مرة أخرى، ثم ما لبث النعاس أن طغى عليها واستغرقت في النوم.

❀❀❀❀❀

عندما صحت "**هيلاري**" من نومها كانت الطائرة في طريقها إلى الهبوط.. لابد إذن أنهم وصلوا إلى "**باريس**".

زايلت مقعدها، وحملت حقيبتها، ونزلت من الطائرة إلى سيارة المطار، ولكنها لم تكن "**باريس**" تلك التي هبطوا إليها.

جاءت المضيفة الجوية إلى السيارة، وتحدثت إليهم بذلك الصوت الناعم الحنون المأثور عن المضيفات:

– لقد اضطررنا إلى أن نهبط في "**بوفيه**"؛ لأن الضباب كثيف جداً في "**باريس**".

وتطلعت "**هيلاري**" من وراء زجاج السيارة، ولكن الرؤية كادت أن تستحيل عليها؛ فقد كانت "**بوفيه**" هي الأخرى غارقة في الضباب.

توقفت بهم السيارة أمام مبنى خشبي عتيق، ليس فيه إلا بضعة مقاعد وأرائك من الخشب.

وطغى على "**هيلاري**" شعور بالانقباض، حاولت أن تدفعه عن نفسها، وغمغم الرجل الجالس بجوارها:

– إنه مطار حربي قديم بلا تدفئة أو شيء من وسائل الراحة، ولكن ما أحسب– وهم فرنسيون– أن يبخلوا علينا بالشراب.

ونطق الرجل حقًّا، فإن هي إلا لحظات حتى جاء مضيف يدورعليهم بأقداح الشراب.

تتابعت الساعات دون أن يقع جديد. فيما عدا طائرات تنبثق متتابعة، من أستارالضباب، وتحط متزاحمة على أرض المطار الصغير. وتكدست القاعة بمسافرين حانقين متذمرين من هذا التأخير الذي طرأ على رحلاتهم.

وأخيراً– عندما هبط الليل– جاءت سيارات الأتوبيس لتحمل المسافرين إلى "**باريس**".

كانت رحلة مملة مضجرة، وانحشر الركاب في السيارات أربع ساعات، إلى أن شارفوا ضواحي "**باريس**" فبلغوها وقد انتصف الليل.

أسعد "**هيلاري**" أن تحمل حقيبتها وتستقل تاكسيًا، وتمضي إلى فندق حجزت لها فيه إحدى الغرف، وكانت متعبة مكدودة لاتهفو إلا إلى حمام ساخن تلوذ بعده بالفراش.

كان مقرراً أن تبرح الطائرة المسافرة إلى "**كازابلانكا**" مطار "**أورلي**" في العاشرة والنصف من صباح اليوم التالي، بيد أن مطار "**أورلي**" في ذلك الصباح المعهود كان خلية من الفوضى والارتباك: مسافرون يروحون ويغدون، موظفون يدخلون ويخرجون، حمالون يذهبون ويجيئون والطائرات مرصوصة على أرض المطار، مكدسة متزاحمة؛ إذ كان هناك تأخير في مواعيد السفر بسبب الضباب.

قال لها موظف الاستعلامات:

– مستحيل يا سيدتي أن تسافري على الطائرة التي سبق أن حجزت لنفسك فيها مقعداً، فأرجوك أن تنتظري في قاعة الاستراحة حتى يخلو مقعد في طائرة أخرى.

وعلى مضض مضت إلى قاعة الانتظار ترقب مقعداً يخلو.

وبعد ساعة قيل لها إن هناك مقعداً خاليًا بالطائرة المسافرة إلى "**داكار**"، وفي الطريق إليها تهبط في "**كازابلانكا**"،وإن كانت سوف تصل إليها متأخرة ثلاث ساعات عن الموعد الذي كانت ترجوه.

قال الموظف:

– وهذا كل ما أستطيع أن أفعله من أجلك يا سيدتي.

تقبلت "**هيلاري كرافن**" المقعد المعروض عليها بغير تذمر واحتجاج، دون أن تتشبث بالمقعد الذي سبق لها أن حجزته على طائرة "**كازابلانكا**" الأصلية.

وحين هبطت في "**كازابلانكا**" همس الحمال الذي أخذ حقائبها:

– إنك لمحظوظة يا سيدتي أن جئت في هذه الطائرة الإضافية بدلا من طائرة "**كازابلانكا**" الأصلية،التي كان مفروضًا أن تصل قبل هذه فإنها تحطمت ومات طاقمها ومعظم الركاب، ولم يبق منهم على قيد الحياة إلا أربعة أشخاص أو خمسة، نقلوا إلى المستشفى مصابين بإصابات جسيمة.

كان أول رد فعل في نفس "**هيلاري**" أن طغى عليها شعور جارف بالغضب،

وعلى غير وعي منها اصطخب داويًا في رأسها هذا السؤال:

- يا إلهي.. لِمَ لم أكن أنا في هذه الطائرة؟ لو أني كنت فيها لانتهى كل شيء! لاقلق، ولاأحزان ولاهموم! ألا ليتني كنت فيها! إن الذين استقلوا هذه الطائرة كانوا متشبثين بالحياة، أما أنا فلكم كنت أرحب بالموت.

أنهت إجراءاتها الجمركية في دقائق قليلة، ومضت إلى إحدى سيارات التاكسي ذاهبة إلى فندقها.

وفي غرفتها فتحت النوافذ وأطلت على المدينة.. كانت السماء صافية زرقاء، والشمس مشرقة فياضة بالضوء.

كان هذا ما ترجوه.. كانت هذه هي الحياة التي سعت إليها.. الفرار.. الهرب.. بعيدًا عن "**إنجلترا**".

بيد أنه في هذه اللحظة اعتصرت قلبها يد باردة ساحقة، فقد أدركت في صدمة هزت كيانها أن الأمر هنا لايختلف عما كان في "**إنجلترا**": لامهرب ولا فرار!

كان قبر "**بريندا**" في "**إنجلترا**"، و"**نايجل**" سوف يقترن بزوجة جديدة في "**إنجلترا**". فلماذا توهمت أنها سوف تنسى هذا وهي هنا في "**مراكش**"؟

إن الذكريات تلاحقها، والماضي يجري في أعقابها، ولاشيء يمكن أن يجعلها تنسى.

إن الخلاص الوحيد يكمن في حبوب منومة، تفرغ منها في جوفها زجاجة كاملة.

انبعثت واقفة وقد استقر رأيها على أن تبادر إلى الصيدلية؛ ففي الصيدلية شفاؤها من المتاعب والهموم والأحزان.

ومضت إلى الخارج مسرعة؛ لكي تعود بما يجعلها تنام- تلك النومة الأبدية المريحة التي تهفو إليها.

*****

كانت "**هيلاري كرافن**" تعتقد أن من السهل شراء الحبوب المنومة في البلاد

الأجنبية، ولكنها- لدهشتها- ما لبثت أن أدركت أنها كانت مخطئة في ظنونها، لقد رفض الصيدلي أن يزودها إلا بحبتين اثنتين، وأن لها إن شاءت المزيد شريطة أن تأتيه بتذكرة طبية.

شكرته "هيلاري"، ودست في حقيبتها الحبتين، وفيما هي تغادر الصيدلية كادت أن تصطدم برجل طويل القامة، جاد السمات، واعتذر لها في أدب بالإنجليزية، سمعته وهي تنصرف يسأل الصيدلي عن معجون أسنان.

وأحست بغصة انقبض لها فؤادها؛ فقد كان المعجون الذي طلبه من نفس الماركة التي يؤثر "نايجل" استعمالها.

عبرت الطريق إلى الصيدلية المقابلة، وأتبعتها بغيرها حتى اكتملت أربعًا، واسترعى نظرها أن لمحت في الصيدلية الثالثة الرجل الجاد السمات نفسه، ذا الوجه الشبيه بوجه البومة، وكان يسأل عن نفس معجون الأسنان الذي طلبه في الصيدلية الأولى.

رجعت "هيلاري" إلى فندقها، فأبدلت ثيابها، ونزلت تتناول عشاءها وقد كادت القاعة أن تقفر من النزلاء، ولكنها لمحت رجل معجون الأسنان ذا الوجه الشبيه بالبومة جالسًا إلى مائدة ملاصقة للجدار، يتناول طعامه وقد نشر أمامه صحيفة فرنسية واستغرق في قراءتها.

أمرت لنفسها بطعام شهي وزجاجة من الشراب، وأقبلت تأكل وتشرب بنهم وهي تردد في نفسها:

– وبعد.. فتلك هي المغامرة الأخيرة، ثم ينتهي كل شيء.

صعدت إلى غرفتها وقد فرغت من طعامها، وأغلقت الباب وراءها بالمفتاح، وخلعت ثيابها، وتناولت اللفافات الأربع التي جاءت بها من الصيدليات، وفضتها، وتناولت منها الحبوب المنومة، ورصتها على المنضدة أمامها، ومضت تتأملها صامتة.

لم تكن مترددة.. لم تكن خائفة. فذلك هو سبيل الخلاص..

ذلك أخيراً هو الفرار.. الفرار الحقيقي.

والأمر بعد هين تافه: تبتلع الحبوب، وتزدردها بجرعة من الماء، ثم تستلقي على

الفراش وتنام، ثم لاتستيقظ أبداً من هذا النوم.

لم يكن في نفسها وازع من الدين يردها عما هي بسبيله، فقد أتت وفاة "بريندا" على كل ما بنفسها من شعور ديني، فليس ثمة شيء له عندها قيمة أو أهمية.

نعم.. إنها الآن بلاقيد يعرقل خطاها، متأهبة للشروع في رحلتها إلى المصير المجهول.

مدت يدها وتناولت الحبة الأولى، ورفعتها إلى فمها، وفي هذه اللحظة طرق باب الغرفة نقرات خفيفة.

قطبت "هيلاري" جبينها، وتجمدت يدها في الهواء قبل أن تبلغ فمها، ولكنها لزمت مكانها لاتفتح الباب، فمهما يكن من أمر فإنها لن ترد عليه، فلايلبث أن ينصرف.

ولكن الطرقات عادت تدق الباب من جديد، وفي هذه المرة كانت بصوت أشد وأعلى.

وفجأة اتسعت عيناها دهشة وهما مستقرتان على الباب.

رأت المفتاح الذي في ثقب القفل من الداخل يدور حول نفسه، ثم يقفز من ثقبه إلى الأرض مرسلاً رنيناً معدنياً، ثم رأت مقبض الباب يتحرك ويدور ثم انفتح الباب، وإذا برجل يدلف إلى الغرفة.

عرفت فيه على الفور ذلك الرجل الجاد السمات، ذا الوجه الشبيه بوجه البومة، والذي رأته من قبل مرتين في الصيدلية يشتري معجوناً للأسنان، ثم رأته يتناول بعد ذلك عشاءه في الفندق.

واستدارالشاب فأغلق الباب، وتناول المفتاح من على الأرض ودسه في الثقب وأوصده، ثم جاء عبر الغرفة إليها واستوى على أحد المقاعد جالساً، وقال في هدوء:

- إني أدعى "جيسوب".

تضرج وجه "هيلاري" احمراراً، ومالت إليه عبر المنضدة التي بينهما، وفي

صوت يخالطه الغضب قالت:

– هل لي أن أسأل عماجئت تفعله في غرفتي؟

فحدجها بنظرة طويلة ثابتة، وقال متسائلاً:

– ما أعجب هذا! إني أنا الذي جئت أسالك عما تفعلين أنت في غرفتك؟

فحملقت إليه في استغراب وتساءلت:

– إني لا أفهم ما تعني؟

فأدار رأسه يتأمل الحبوب المنومة على المنضدة، ثم تطلع إليها قائلا:

– لو أنني مكانك ما فعلت هذا، فليس الأمر كما تظنين. .إنك تعتقدين أنك تتناولين الأقراص، وتستغرقين في النوم ثم لاتنهضين أبداً، ولكن ما سوف يحدث شيء غير هذا تماماً. . ستعانين أعراضاً اليمة. . تقلصات، وقيئاً، وآلاماً تمزق المصارين. . وإذا كانت طبيعة جسمك مقاومة للمخدرات، فإن الحبوب المنومة لاتبدأ إلا بعد فترة طويلة، وفي خلال هذه الفترة يعثرون عليك ويحاولون إنقاذك. وتتعرضين لأشياء مؤلمة: غسيل معدة، زيت خروع، قهوة ساخنة. كما يهزونك بعنف ويلطمون وجهك حتى تستفيقي. . فهل أنت مستعدة لكل هذا؟

تراخت السيدة "كرافن" في جلستها، واغتصبت ابتسامة خفيفة، وقالت:

– يالها من فكرة سخيفة! إذن فانت تتخيل أنني كنت أنوي الانتحار؟

فاجاب "جيسوب":

– إنني لا اتخيل،ولكني على يقين. . لقد دخلت إلى الصيدلية لأشتري معجوناً للأسنان، عندما كنت هناك تطلبين حبوباً منومة، ولما لم أجد النوع الذي أبغيه ذهبت إلى صيدلية أخرى، فإذا بك أمامي تشترين حبوباً للمرة الثانية، وبدا لي الأمر غريبا فرأيت أن أتعقب خطواتك؛ لأرى ما يكون من أمرك. . وبالتاكيد لم يكن من العسير عليّ بعد ذلك أن اتكهن بما تنتوين.

– إنك قد تستطيع أن تمنعني الآن من الانتحار، وقد تقذف بالحبوب من النافذة، ولكنك لن تستطيع أن تصدني غداً عن شراء حبوب أخرى، أو أن ألقي بنفسي إلى الطريق من سطح عمارة عالية، أو أن أرتمي أمام قطار مسرع.

فقال:

– إنك قد تحاولين أن تنتحري اليوم.. هذا صحيح.. ولكن إذا جاء الغد ثاب المنتحر إلى رشده وعاوده صوابه.. هذا ما يحدث للمنتحرين عادة.

– هذا إذا كان المنتحر قد أقدم على فعلته وهو في فورة يأس مفاجئ، أما أنا فقد تدبرت الأمر في هدوء وبرود حتى استقر عليه عزمي.. الا تعلم يا سيد "جيسوب" أنني امرأة ليس لديها ما تعيش من أجله وما يجعلها تتشبث بالحياة.

ثم أردفت:

– زوجي الذي همت به حبًّا هجرني، وابنتي الوحيدة التي أعشقها ماتت بالالتهاب السحائي.. وأنا بعد امرأة بلا أصدقاء أو اقارب، وليس لي هواية تستهويني أو عمل يشغلني، فلِمَ إذن أعيش؟

وبعد سكتة صغيرة رفعت إليه رأسها وقالت:

والآن يا سيد "جيسوب" هل لك أن تنصرف وتتركني لشاني؟

فأجاب:

– لم يحن الوقت، فإني لم أفرغ بعد من حديثي.

ثم استطرد على عجل:

– الآن عرفت أنك كارهة لدنياك، غير متشبثة بالحياة، وأنك تنوين الانتحار، ولكن الذي اتساءل عنه هو: لم آثرت الحبوب المنومة وسيلة إلى الانتحار؟

فبدت الدهشة في عينيها وتساءلت:

– ماذا تقصد؟

– لقد عرفنا أن الحبوب المنومة غير مضمونة النتيجة، فضلاً عما يصاحبها من آلام، وكذلك الشأن بالنسبة إلى الارتماء تحت القطار، أو إلقاء نفسك من مبنى مرتفع.. إنك قد تصابين بعاهة أو بالشلل أو ببتر ذراعيك أو ساقيك، ولكنك ستعيشين.. هناك طرق أخرى للانتحار أنجح وأضمن.

– طرق أخرى؟

– بالتأكيد.. طرق أخرى حافلة بالإثارة والمتعة.. ومع ذلك فلست أكتمك

أنك قد تنجين من الموت، ولكنك على الأقل ستجدين فيها تسلية وطرافة تشغل فراغك وتبدد همومك.

فهزت رأسها في حيرة وتساءلت:

– الحق أني لاأدري فيما تتحدث.

لاذ بالصمت برهة ثم أردف:

– لكي تدركي ما أبغي لابد أن أروي لك قصة صغيرة، فهل لك أن تعيريني سمعك؟

– إني مصغية إليك فهات ما عندك.

قال:

– إنك بالتأكيد تطالعين الصحف. ولابد أنك قرأت عن حوادث اختفاء بعض العلماء في الأشهر الأخيرة، وكان آخرها اختفاء عالم الذرة "**توماس بيترتون**".

فقالت "**هيلاري**":

– نعم.. لقد قرأت شيئًا عن هذا في الصحف. واستطرد "**جيسوب**":

– إننا في بلد حر، ولمن شاء أن يرحل أنى شاء، ولكن في مثل هذه الظروف يجب أن نعرف لماذا اختفى هؤلاء القوم، وأين ذهبوا، وكيف ذهبوا.

هل اختفوا طواعية واختيارا من تلقاء أنفسهم؟ أم أنهم أجبروا على الذهاب؟ أو اختطفوا؟ أو هددوا؟ وما الطريق الذي سلكوه في سفرهم؟ وما المنظمة التي تتولى أمرهم؟ وما الهدف الذي ترمي إليه المنظمة؟ إننا نسعى إلى رد شاف على هذه الأسئلة، ولعل في مقدورك أنت أن تساعدينا في الحصول على جواب عن هذه الأسئلة.

– أنا؟ ولكن كيف؟ ولماذا؟

فقال "**جيسوب**":

– منذ شهرين اختفى "**توماس بيترتون**" فجاة وهو في "**باريس**"، تاركًا امرأته في "**لندن**" وقد نزل اختفاؤه عليها نزول الصاعقة، أو هكذا ادعت وزعمت، وقد أقسمت على أنه ليس لديها أية فكرة عن مكانه، وأنها لاتعرف عن الأمر شيئًا.

وقد تكون صادقة في أقوالها، أو كاذبة، وأنا من الذين يعتقدون أنها كاذبة.
وتابع "**جيسوب**" الحديث قائلاً:
– وضعنا السيدة "**بيترتون**" تحت المراقبة الدقيقة، ومنذ أسبوعين جاءت تزورني في مكتبي،وذكرت لي أن طبيبها أمرها بأن تسافر إلى الخارج للراحة والاستجمام؛ لأنها ضاقت بأصدقائها وأقاربها والمخبرين، والصحفيين الذين لا يفتأون يلحون بالسؤال عن زوجها وكيف اختفى،حتى لقد كادت أن تصاب بانهيار عصبي.
وبالأمس غادرت السيدة "**بيترتون**" "**إنجلترا**"إلى "**كازابلانكا**"، فقالت "**هيلاري**" متبرمة:
– ولكن ما شأني أنا بكل هذه القصة؟
فأجابها "**جيسوب**" باسمًا:
– إن لك شأنًا كبيرًا؛ لأن شعرك أحمر.
– ماذا تقصد؟
فقال:
– أهم ما يميز السيدة "**بيترتون**" هو شعرها الأحمر النحاسي، وأهم ما يميزك أنت هو أيضًا نفس الشعر الأحمر النحاسي.
– فليكن.. مجرد مصادفة.. ولكن ما أهمية ذلك؟
– أهميته أن طائرة "**كازابلانكا**"التي سافرت عليها السيدة "**بيترتون**" تحطمت وقتل معظم من فيها، أما هي فاخرجت من تحت الأنقاض،وهي لاتزال على قيد الحياة ونقلت إلى المستشفى، ولكن الأطباء يرون أنها لن تعيش إلا إلى صباح الغد.
ظلت "**هيلاري**" تتابعه بعينين تتساءلان عما يبغي منها، واستطرد "**جيسوب**":
– غداً ستلفظ السيدة "**بيترتون**" أنفاسها الأخيرة، ولكنها مع ذلك ستواصل رحلتها؛ لأنك ستتقمصين شخصيتها، وتنتحلين اسمها.
ظلت "**هيلاري**" تحملق إليه كالمشدوهة فاغرة فمها، ثم قالت:
–ولكنهم بالتأكيد سيعرفون في الحال أنني لست السيدة "**بيترتون**"؟

– هذا يتوقف على الذين سيقابلونك، وهل سبق أن رأوا السيدة "**بيترتون**" من قبل؟ إن مثل هذه المنظمات تعمل عادة على أسلوب الخلايا المستقلة، فكل خلية مكونة من ثلاثة أو أربعة أشخاص لايعرفون الخلية الأخرى، حتى إذا وقعوا في يدالشرطة استحال عليهم أن يشوا بالآخرين؛ لأنهم لم يروهم من قبل.

ثم استطرد:

– ومعنى هذا أن الذين سوف تلتقي بهم السيدة "**بيترتون**" لايعرفون عنها إلاأنها ذات شعر أحمر نحاسي، وعينين خضراوين، وطولها مائة وثمانية وستون سنتيمترا، وليس لها علامات مميزة...

هذه هي الأوصاف المدونة في جواز سفرها، من حسن الحظ أن هذه الأوصاف جميعًا تنطبق عليك.

فقالت "**هيلاري**" معترضة:

– ولكني لا أكاد أعرف شيئًا عن السيدة "**بيترتون**".

فأجاب "**جيسوب**":

– سنزودك بما يكفي من المعلومات، وسنتدبر الأمر على النحو التالي:

ستدخلين المستشفى،وعندما يحن القضاء وتموت السيدة "**بيترتون**"، ستحلين مكانها وتنتحلين اسمها، أما هي فتدفن متخذة اسمك أنت، أي سيقال إن التي ماتت هي بارتجاج في المخ في كارثة الطائرة، وهذا يتيح لك فرصة التخلص من المآزق التي قد تقعين فيها بأن تتظاهري بفقدان الذاكرة من حين لآخر. ومع ذلك فقد ينكشف سرك وتقتلين، ولكني لاأحسبك تبالين بالموت ما دمت لاتقيمين وزنًا للحياة وتنشدين الانتحار، فما رأيك؟ أتقبلين هذه المهمة؟

ودون تردد أجابت "**هيلاري كرافن**":

– لمَ لا؟ لقد قبلت أن أكون السيدة "**بيترتون**".

فقال "**جيسوب**":

– إذن هيا بنا، فلا وقت لدينا نضيعه.

- 4 -

على مقعد حديدي صلب جلست "**هيلاري كرافن**" بجانب الفراش الذي ترقد فيه "**أوليف بيترتون**" معصوبة الرأس بالضمادات، غائبة عن الوعي.

وعلى الناحية الأخرى من السرير وقفت إحدى الممرضات والطبيب يتأملان المصابة، أما "**جيسوب**" فكان جالساً في ركن من الغرفة.

تحول الطبيب إلى "**جيسوب**" قائلاً بالفرنسية:

– لن يطول الأمر، فإن النبض ضعيف جداً.

– ولكن هل تموت قبل أن تسترد وعيها..؟

– هذا ما أستطيع أن أقطع به.. ربما استردت وعيها في اللحظات الأخيرة.

– ألا تستطيع أن تعطيها منبها؟

هز الطبيب رأسه نفياً، وغادر الغرفة والممرضة في أعقابه.

قال "**جيسوب**" يخاطب "**هيلاري كرافن**":

– لكم كنت أتمنى أن تسترد وعيها ولو لحظات؛ حتى أحصل منها على شيء من المعلومات. أي شيء ولو كلمة عابرة.. مجرد إشارة أو كلمة السر..حاولي أن تنصتي إليها جيداً، وإذا تكلمت فحاولي أن تستدرجيها، فقد تنطق بشيء حتى وهي في غيبوبتها.

فسألته :

– هل نصارحها بأنها تحتضر وأنها لن تعيش؟

فقال:

– لاأدري.. يجب أن أفكر في هذا.

ومضت "**هيلاري**" تتأمل المرأة الراقدة في الفراش..ترى هل جاءت حقًّا إلى "**مراكش**" لتقابل ذلك الزوج الذي اختفى؟ أم أنها كانت توشك أن تنهار فجاءت تنشد الراحة والاستجمام؟

مر الوقت، حتى انقضت ساعتان، ثم فتح الباب وجاء الطبيب يعود مريضته مرة أخرى.

جس نبضها، ثم قال: هناك بعض التغيير، وإن كان كل شيء يوشك أن ينتهي.

تململت المريضة في فراشها قليلاً، وفتحت عينيها فوجدت نفسها تتطلع مباشرة في عيني "**هيلاري**"، ثم عادت وأطبقتهما من جديد.

وهمست في صوت لايكاد يبين:

– أين أنا؟

وفي رفق أخذ الطبيب بيدها وأجاب:

– إنك في المستشفى يا سيدتي.. لقد وقع حادث للطائرة..

فردت هامسة:

– الطائرة؟

سألها الطبيب:

– أتريدين أن تتصلي بأي شخص هنا في "**كازابلانكا**"؟ إننا نستطيع أن نبلغه أية رسالة منك.

رفعت إلى الطبيب عينين باديتي الألم وأجابت:

– لا.

ثم عادت من جديد إلى "**هيلاري**" وتساءلت:

– من. من أنت؟ ومالت "**هيلاري**" فوقها، وفي صوت جلي واضح النبرات قالت:

– إني قادمة لتوي من "**إنجلترا**" على إحدى الطائرات، فإذا كان في وسعي أن أفعل شيئاً لأجلك فأخبريني على الفور.

– لا.. لا.. لاشيء.. إلا إذا..

صمتت وتطلع الطبيب إلى المرأتين، ثم مضى يغادر الغرفة وفي أعقابه الممرضة.

خلت المرأتان كل إلى صاحبتها، وبدا أن السيدة "**بيترتون**" تجاهد لكي تنطق بشيء.

أدركت "**هيلاري**" دون عناء ما تسأل عنه السيدة "**بيترتون**" وأجابت:

– نعم.. إنك تحتضرين.. أهذا هو ما تريدين أن تسألي عنه؟

والآن سأحاول أن أتصل بزوجك، فهل تريدين أن أبلغه رسالة منك..؟

ردت المرأة التي تحتضر:

– أخبريه.. أخبريه.. أن يكون على حذر.. "**بوريس**".. "**بوريس**" رجل خطر.

تسارعت أنفاسها لاهثة وتنهدت، ومالت "**هيلاري**" فوقها تسألها:

– أيمكنك أن تذكري لي شيئًا يساعدني في رحلتي، أي شيء يمكنني من الاتصال بزوجك؟

– الثلج.

واستبدت الحيرة بـ"**هيلاري**"، وجعلت تردد الكلمة في دهشة: "الثلج؟ الثلج؟" ومضت تكررها تباعًا دون أن تفقه المقصود منها.

لاحت على شفتي المحتضرة ابتسامة واهنة، ثم ضحكت ضحكة مخنوقة لاتكاد تسمع، وانفرجت شفتاها عن أغنية شائعة من أغنيات الطفولة.

"الثلج. الثلج الثلج الجميل..".

"تدوسين على قطعة منه، وتنزلقين.."

"ثم تذهبين.. تذهبين.."

أخذت المحتضرة تردد بصوتها الواهن الضعيف:

– تذهبين..! تذهبين..! اذهبي وحدثيه عن "**بوريس**" إني لا أصدق هذا.. لا أستطيع أن أصدق ولكن ربما كان صحيحًا.. وإذا كان يجب أن.. أن يكون على حذر.

اختلجت العينان.. واختلجت الشفتان.. وماتت "**أوليف بيترتون**".

❋❋❋❋❋

كانت الأيام الخمسة التالية أيامًا مضنية مرهقة. لزمت "**هيلاري كرافن**" في المستشفى غرفة خاصة لاتبرحها، منهمكة في تلقي دروسها، وفي كل مساء تمتحن فيما لقنته طوال ساعات النهار.

على ورقة أمامها سطرت كل المعلومات التي يعرفونها عن حياة **"أوليف بيترتون"**، وكان على **"هيلاري"** أن تعيها في ذاكرتها.. المنزل الذي كانت تسكنه **"أوليف"**.. الخدم الذين عملوا لديها. أسماء الأقارب والأصدقاء، واسم كلبها المدلل وطائر الكناريا.. كل التفاصيل الخاصة بحياتها خلال الأشهر الستة الماضية مذ تزوجت.. حفلة القران، وأسماء الوصيفات.. ما الذي كانت تفضله السيدة **"بيترتون"** من طعام أو شراب.

ضاقت السيدة **"هيلاري كرافن"** بكثرة مالقنت، فسألت **"جيسوب"**:

– وهل لهذا كله أهمية؟

– ربما نعم، وربما لا،ولكن ينبغي أن تكوني متاهبة لكل المفاجآت، فقد تباغتين بسؤال، أي سؤال، فيجب أن يكون الرد حاضراً، دون أي تفكير أو تردد.

أخذ يلقنها دروساً في الشفرة، وفي الكتابة السرية، وفي وسائل الاتصال الخفية.

وأخيراً أبدى **"جيسوب"** رضاءه وارتياحه قائلاً:

– إنك في الحق تلميذة نجيبة يمكن الركون إليها.

إنني أحب أن أذكر لك أنك لن تكوني منعزلة عنا، فسوف نكون أتبع لك من ظلك في معظم الأوقات.

تساءلت **"هيلاري"**:

– وماذا يكون من أمري عندما أبلغ نهاية المطاف.. أي عندما أجد نفسي وجهاً لوجه أمام **"توماس بيترتون"**؟

فهز **"جيسوب"** رأسه في وجوم وقال:

– هنا موضع الخطر، إذا سارت الأمور على الصورة التي نتخيلها، فسنكون بجانبك، نحميك ونذود عنك، ولكن يجب أن أذكرك بما سبق أن قلته لك، وهو أن المخاطرة هي أساس هذه المهمة، فمن المحتمل أن ينكشف أمرك، فيكون القتل مصيرك.

ثم أردف:

– بعد خروجك من المستشفى ستنزلين في نفس الفندق الذي حجزت فيه

السيدة "**بيترتون**" غرفة لها، وسوف ترتدين ملابسها، وتنسقين شعرك على الطراز الذي اعتادته، وقد عهدنا إلى طبيب من أطباء التجميل أن يدرس وجهك، وأن يلصق عليه بعض رقائق من البلاستيك التي تجعلك أقرب شبهًا إلى "**أوليف بيترتون**"، وحتى إذا فطن أحد إلى التحامها فسوف يعزو هذه الآثار إلى حادث الطائرة.

تأملته "**هيلاري**" بنظرة تقدير وإعجاب وقالت:

– الحق أنك دقيق في عملك لاتغفل شيئًا.

فقال:

– هذا واجبي، فإن أتفه الهنات كفيلة بأن تفسد أدق التدبيرات. والآن أرجو أن تقصي عليّ ما حدث بينك وبين "**أوليف بيترتون**".. هل لفظت بشيء قبل أن تموت؟

روت له ما سمعته من المرأة التي كانت تحتضر وقالت:

– وأهم ما رددته هو قولها "قولي له إن "**بوريس**" رجل خطر"

فقال "**جيسوب**":

– "**بوريس**"؟ لابد إذن أنها تقصد الميجور "**بوريس جلايدر**". لقد زارني في مكتبي، زاعمًا أنه ابن عمة زوجة "**بيترتون**" الأولى، وإن لم أكن متأكدًا من حقيقة شخصيته.. وقد أمرت بتعقبه عند خروجه من مكتبي، فذهب لتوه إلى السفارة الأمريكية، ثم لم يخرج منها، ويبدو أنه تسلل من أحد الأبواب الخلفية.

فقالت "**هيلاري**":

– هل لك أن تصفه لي؟

وأدلى إليها بأوصافه، ثم أردف:

– صدقت السيدة "**بيترتون**"، فالميجور "**بوريس جلايدر**" رجل خطر!

- 5 -

في قاعة الاستقبال في فندق "**سان لويس**" في "**كازابلانكا**" جلست سيدات ثلاث، كل منهن منهمكة في شأن يخصها.

فالأمريكية السيدة "**كالفين بيكر**" جالسة إلى مكتب صغير، وهي مقبلة على تسطير بعض الرسائل.

والإنجليزية الآنسة "**هيذرنجتون**" متراخية في مقعد ضخم، وبين يديها إبرة التريكو تطرز "جاكت" من الصوف، الذي تألف السيدات الإنجليزيات ارتداءه.

أما الفرنسية الآنسة "**جين ماريكو**"، فكانت جالسة بجانب إحدى النوافذ تتطلع إلى الخارج، وهي تتثاءب من حين إلى آخر، أو تدير بصرها إلى المرأتين الأخريين في ضيق وملل.

وكانت الآنسة "**هيذرنجتون**" والسيدة "**بيكر**" قد أمضيتا بضع ليال تحت سقف فندق "**سان لويس**"، فتم بينهما التعارف، وذلك أن السيدة "**كالفين بيكر**" بسجيتها الأمريكية المتآلفة كانت لاتفتأ تتحدث إلى أي إنسان في سماحة وانطلاق.

وبرز في مدخل القاعة فرنسي تبدو عليه سمة رجال الأعمال، ثم ارتد عنها راجعًا حين رآها تكاد تبدو خالية، وقد ألقى على "**جين ماريكو**" نظرة أسف وأخذت الآنسة "**هيذرنجتون**" تعد الغرز التي طرزتها ثم همست تخاطب نفسها: "والآن ما نوع الغرزة التالية؟"

وجاءت امرأة أخرى طويلة القامة حمراء الشعر وأطلت على الغرفة، وبدا عليها التردد قليلاً، ثم استدارت تسير في الممشى إلى قاعة الطعام .

انتبهت السيدة "**كالفين**" والآنسة **هيذرنجتون**"مما كانتا عليه، ودارت السيدة "**بيكر**"حول المكتب الذي كانت تجلس إليه، وهمست في صوت به رنة من الانفعال.

– أرأيت يا آنسة "**هيذرنجتون**" هذه المرأة ذات الشعر الأحمر التي أطلت على الغرفة ثم انصرفت؟ إنهم يقولون إنها الوحيدة التي نجت من فاجعة الطائرة التي سقطت في الأسبوع الماضي.

وقالت الآنسة "**هيذرنجتون**" :

–لقد رأيتها تأتي بعد ظهر اليوم إلى الفندق في عربة الإسعاف.

– لقد أخبرني المدير بأنها جاءت من المستشفى رأسًا.

ثم أردفت:

– ترى هل من الحكمة أن تخرج من المستشفى بمثل هذه السرعة، وهي التي كانت مصابة بارتجاج في المخ؟

وقالت الأخرى:

– إن ببعض أجزاء وجهها شريطًا لاصقًا من أثر إصابتها بالزجاج المهشم فيما أعتقد.. إنها لمحظوظة أن نجت من الاحتراق.

فقالت السيدة "**كالفين**".

– يا لها من مسكينة عانت الأهوال! ترى هل كان زوجها معها؟ وهل لقي حتفه أم نجا من الموت؟

– لا أظن، فقد ورد في الصحف أنه لم ينج من ركاب الطائرة إلا امرأة واحدة دون أن يشيروا إلى أن زوجها في صحبتها.

– هذا صحيح، وقالوا إنها تدعى السيدة "**بيفرلي**" كلا. كلا. بل السيدة "**بيترتون**".. نعم.. هذا هو اسمها.

فقالت الآنسة "**هيذرنجتون**" وهي تفكر متأملة:

– "**بيترتون**"؟ آه.. هذا يذكرني بما قرأته عنه في الصحف. نعم إني متأكدة من أن هذا هواسمه.

وقالت الآنسة "**ماريكو**" تخاطب نفسها بالفرنسية:

– الا تبا لـ"**بيير**"..! إنه لا يحتمل ولايطاق..!

ولكن الصغير "**جولز**" لطيف جداً، والأب ذو مركز مرموق فليكن! لقد اتخذت قراري.

وفي خطى رشيقة متأنقة غادرت الآنسة "**ماريكو**" قاعة الاستقبال.

*****

بعد ظهيرة ذلك اليوم الذي ماتت فيه السيدة "**بيترتون**" وكانت قد مرت خمسة أيام على كارثةالطائرة– خرجت السيدة "**توماس بيترتون**" المزعومة من المستشفى مستقلة إحدى سيارات الإسعاف إلى فندق "**سان لويس**"،وهي تبدو

شاحبة الوجه عليلة، تدور بوجهها الضمادات والأربطة والشريط اللاصق.

واتصلت "**هيلاري**" باستعلامات الفندق، وسألت عما إذا كانت هناك رسائل باسمها فاجيبت بالنفي.

كان عليها وهي تنتحل شخصية "**أوليف بيترتون**"أن تتصرف بحرص وحذر، والا تقدم على أية خطوة إلا بعد تأن وروية.

إن من المحتمل أن تكون "**أوليف بيترتون**"، قد تلقت تعليمات بأن تتصل بتليفون معين أو شخص معين في "**كازابلانكا**"، فانى لها ان تهتدي إلى ذلك؟

إن كل ما لديها لايعدو جواز سفر "**أوليف بيترتون**"، وخطابها الخاص بالاعتماد المالي، ودفتر تذاكر السفر الصادر من شركة "**كوك**" السياحية، وإخطارات الحجز بالفنادق. وهذه عبارة عن يومين في "**كازابلانكا**"، وستة أيام في "**فزان**"، وخمسة أيام في "**مراكش**" وبالتأكيد انقضت هذه الأيام وفات موعدها بسبب حادث الطائرة، ولكن لابد أن هناك من سيجددها مرة أخرى، فعليها أن تنتظر وتترقب. أما خطاب الضمان المالي وجواز السفر، فقد تولى أمرهما السيد "**جيسوب**". فذيل الخطاب بتوقيع مزور لـ "**أوليف بيترتون**" ونُزعت من الجواز صورة "**أوليف بيترتون**"وحلت صورة "**هيلاري كرافن**" مكانها.

وهكذا استقر الأمر لـ "**هيلاري كرافن**" وعليها أن تؤدي دورها باطمئنان، وإذا ألفت نفسها موشكة أن تنزلق إلى مازق، فليس أسهل من أن تتشبث بطوق النجاه فتزعم أنها فقدت ذاكرتها– أو بعض ذاكرتها– نتيجة لإصابتها بارتجاج في المخ.

لاذت "**هيلاري**" بغرفتها أربع ساعات كاملة؛ إذ المفروض لمن كان في مثل حالتها ولم يغادر المستشفى إلا منذ لحظات أن يستريح ويستجم، ولكنها خلال هذه الساعات جعلت تستعيد إلى ذهنها كل ما لقنته عن حياة "**أوليف بيترتون**"، من دقائق وتفصيلات؛ حتى لا تفاجأ بسؤال تعييها الإجابة عنه، فتنكشف خدعتها في انتحال شخصية غيرها.

وأخيراً تجملت قليلاً، ونزلت إلى قاعة الطعام لتناول عشائها.

وما إن تراءت في مدخل القاعة حتى انتهبتها الأنظار من كل جانب، وفطنت

إلى همسات خافتة ترددت في أرجاء القاعة، بل لقد تبادرت إلى أذنيها بعض العبارات ترددها الحاضرات.

وجاءت امرأة قصيرة القامة، متوسطة العمر، يميل جسمها إلى البدانة، وسحبت مقعداً أدنته منها، وأنشأت تتحدث إليها بلهجة أمريكية واضحة:

– معذرة إن أنا وجهت إليك سؤالاً.. ألست أنت السيدة التي نجت بمعجزة من كارثة الطائرة؟

ونحت "**هيلاري**" المجلة التي كانت تتصفحها وأجابت:

– بلى.

– يا إلهي.! كانت كارثة رهيبة! يقال إن ثلاثة فقط هم الذين نجوا من الحادث، أليس كذلك؟

فأجابت "**هيلاري**":

– بل اثنان، فقد مات أحد الثلاثة في المستشفى.

– رباه.. إني لم أسمع بهذا بعد يا آنسة! يا سيدة..

فقالت "**هيلاري**":

– السيدة "**بيترتون**".

واستطردت المرأة الأمريكية تسألها:

– ولكن أين كان مقعدك عند وقوع الحادث؟ أعني في مقدم الطائرة أم عند ذيلها؟

كانت "**هيلاري**" قد لقنت الرد على هذا السؤال وهي تتلقى دروس المعلومات التي قد تحتاج إليها في انتحال شخصيتها الجديدة.

أجابت: بل في المؤخرة.

– إنهم يقولون إن هذا هو أسلم مكان في الطائرة إذا ما وقع لها حادث. إني دائمًا أصرعلى أن أجلس في المؤخرة.

التفتت إلى سيدة أخرى متوسطة العمر إنجليزية السمات، تجلس عن كثب منهما وقالت تخاطبها:

– أسمعت هذا يا آنسة "**هيذرنجتون**"؟ تمامًا كما كنت أقول لك بالأمس.

يجب أن تصممي على الجلوس في مؤخرة الطائرة، مهما حاولت المضيفة أن تغريك بالجلوس في المقدمة.

فقالت "**هيلاري**" في هدوء:

– ولكن لابد للبعض أن يجلس في المقدمة.

– على أية حال لن أكون أنا من هذا "البعض" .

ثم أردفت:

– إنني أدعى السيدة "**بيكر**" .. "**كالفين بيكر**" . إنني أمريكية الجنسية وقد جئت لتوي من "**أغادير**"، اما الآنسة "**هيذرنجتون**" فجاءت من "**طنجة**" وقد تم التعارف بيننا هنا.. ترى هل تنوين السفر إلى "**مراكش**" يا سيدة "**بيترتون**"؟

فأجابت "**هيلاري**":

– هذا فعلاً هو ما كنت أنوي، ولكن هذا الحادث أفسد الترتيبات.

– بالتأكيد.. بالتأكيد.. ولكن يجب ألا تفوتك زيارة "**مراكش**".. ألا تقرينني على هذا يا آنسة "**هيذرنجتون**"؟

فأجابت الآنسة "**هيذرنجتون**":

– ولكن "**مراكش**" باهظة التكاليف، وقيود تحويل النقد تزيد الأمر صعوبة ومشقة.

واستطردت السيدة "**بيكر**":

– إن فندق "**المأمون**" من الفنادق الفاخرة، فيمكنك أن تنزلي فيه.

فانبرت الآنسة "**هيذرنجتون**" تقول معترضة:

– ولكن أسعاره مرتفعة لاتحتمل، ولايمكن أن يخطر لي أن أنزل فيه، أما أنت يا سيدة "**بيكر**" فالأمر بالنسبة إليك يختلف؛ إذ لاقيود عليكم معشر الأمريكيين في تحويل ما تشاءون من الدولارات.

واستطردت السيدة "**بيكر**" متسائلة:

– وهل تنوين يا سيدة "**بيترتون**" أن تزوري بلاداً أخرى؟

– في نيتي أن أزور "**فزان**"؛ ولكن لابد أن أجدد الحجز في الفندق.

– بالتأكيد.. بالتأكيد فزيارة "**فزان**" أو "**الرباط**" ينبغي ألا تفوتك.

– وهل سبق لك زيارتهما؟

–ليس بعد، ولكني ذاهبة إليها عاجلاً، وكذلك الآنسة "**هيذرنجتون**".

وقالت الآنسة "**هيذرنجتون**":

– أعتقد أن الحي القديم لايزال على حاله، لم تفسده المدنية.

استمر الحديث على هذا النحو فترة من الوقت، ثم استاذنت "**هيلاري**" في الانصراف متذرعة بالتعب؛ إذ كان هذا هو أول يوم غادرت فيه المستشفى، وصعدت إلى مخدعها.

ترى هل كانت هذه الأسئلة التي وجهتها إليها السيدة "**بيكر**" ليست سوى حديث عابر أم استجوابا مقصوداً له هدف مبيت؟

ومهما يكن، فقد قررت "**هيلاري كرافن**" أن تمضي في اليوم الثاني إلى شركة "**كوك**" وتجدد الحجز إلى "**فزان**" أو "**الرباط**".. وذلك ما لم يتصل بها أحدالعملاء ليلقي إليها بتعليمات أخرى.

وفي اليوم التالي لم تتلق أي خطاب أو رسالة تليفونية، وما شارفت الساعة على الحادية عشرة حتى كانت في مكتب السياحة، متخذة مكانها في الطابور الطويل المصطف أمام الشباك.

وأخيراً حان دورها، وبدأت تحدث كاتب الحجز عما تبغي، ولكن رئيسه بادر إليها من وراء مكتبه قائلاً:

– دعيني أولاً أهنئك على نجاتك يا سيدة "**بيترتون**".. أما عن الحجز فقد نفذت فعلاً تعليماتك التليفونية، وها هي ذي التذاكر جاهزة.

وتسارعت نبضات قلبها..

إنها لم تتصل بشركة "**كوك**" ولم تعهد إلى أحد بالاتصال بها! إذن فالترتيبات الخاصة بسفرالسيدة "**أوليف بيترتون**" إنما تنظم بمعرفة شخص آخر مجهول.

قالت:

– لقد جئت بنفسي؛ لأني خشيت أن يكونوا قد أغفلوا الاتصال بكم.

وفي صباح اليوم التالي كانت السيدة "**هيلاري كرافن**" في طريقها إلى "**فزان**".

- 6 -

خيبت "**كازابلانكا**" احلام "**هيلاري كرافن**"، فقد بدت أشبه ببلدة فرنسية الطابع، ليس فيها شيء من نسمات الشرق السحرية التي كانت تهفو إليها.

أخذت تتطلع من نافذة القطار إلى الأراضي المنبسطة أمامها، وهو منطلق عبر السهول ناحية الشمال. ولم يكن في المقصورة عداها إلا أربعة أشخاص:

فرنسي يجلس قبالتها، وله طابع الوسطاء المتجولين، وراهبة منزوية في أحد الأركان وأصابعها تجري على مسبحتها، وامرأتان مراكشيتان تتسامران في مرح وجذل.

وحين تناولت "**هيلاري**" سيجارة من علبتها سارع الفرنسي يشعلها لها، وكان ذلك بداية وصلة الحديث بينهما.

وقال لها الفرنسي فيما قال:

– ينبغي يا سيدتي أن تزوري "**الرباط**" .. إنها رائعة، ومن الخطأ أن تفوتك مشاهدتها.

فقالت:

– سأحاول وإن لم يكن في الوقت متسع.

ثم أردفت وقد لاحت على شفتيها ابتسامة خفيفة:

– وفضلاً عن هذا فإن نقودي أوشكت أن تنفد.

إنك تعلم أنهم لايسمحون لنا بأن نأخذ معنا إلى الخارج إلا القليل.

فقال:

– ولكن هذا أمر سهل يا سيدتي، يمكنك تدبيره مع أي صديق لك هنا.

– أخشى أني لاأعرف أحداً في "**مراكش**".

فقال في سماحة:

– في رحلتك التالية حسبك أن تبعثي إليّ بكلمة صغيرة فأدبر لك الأمر.

وهاك بطاقتي .. إنني أسافر إلى "**إنجلترا**" كثيراً، فيمكنك أن توفيني هناك ما أعطيه لك.

– شكرًا لك يا سيدي، فإني افكر فعلاً في أن أزور "**مراكش**" مرة أخرى.

– لاشك في أنك وجدت "**مراكش**" مختلفة تمامًا عن "**إنجلترا**"، فجوها كريه، شديد البرودة، مغلف بالضباب.

ثم استطرد:

– لقد تركت "**باريس**" منذ ثلاثة أسابيع، وكانت هي الأخرى غارقة في الضباب والأمطار. أما هنا فالشمس دائمًا مشرقة رائعة، وإن كان الجو باردًا إلى حد ما.. كيف كانت حالة الجو عندما غادرت "**إنجلترا**"؟

فأجابت "**هيلاري**":

– ضباب خانق.

– تمامًا. تمامًا.. فهذا هو موسم الضباب.

– وكيف كانت حالة الثلج؟ ألم يسقط عندكم هذا العام؟

– تساءلت "**هيلاري**" في نفسها عما إذا كان هذا الفرنسي يتبع الأسلوب الإنجليزي التقليدي فيدور حديثه عن الجو، أم أنه يهدف إلى شيء آخر؟

حينما أشار إلى "الثلج"، وهي نفس الكلمة التي رددتها "**أوليف بيترتون**" قبيل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة؟ هل كلمة "الثلج" وقد رددها مرتين كلمة عارضة، أم رمز خفي..؟

توقف بهم القطار أخيرًا في "**فزان**" وقد هبط الليل، وبادر الفرنسي يحمل عنها حقيبتها، سائلها:

– أذاهبة أنت يا سيدتي إلى فندق "**قصر الجمال**"؟

فأجابت بنعم فاستطرد:

– إنه يبعد عن المدينة ثمانية كيلو مترات.

فقالت في دهشة:

– ثمانية كيلو مترات؟ إذن فهو في ضواحي المدينة.

– إنه في الحي القديم، أما أنا فسأنزل في أحد فنادق المدينة التجارية الجديدة، ولكن على من ينشد الراحة والهدوء والاستجمام أن يهرع إلى "**قصرالجمال**".

لقد كان هذا القصر – من قبل – مقاماً لإحدى الأسر المراكشية النبيلة، ثم تحول إلى فندق، وهو يتميز بحدائقه الواسعة الرائعة، كما أنه مجاور للحي القديم ذي الطابع الشرقي الخلاب.

ثم أردف:

– يبدو أن الفندق لم يوفد أحداً لاستقبالك، فاسمحي لي إذن أن أستدعي لك "تاكسي".

– شكراً لك يا سيدي.

وتحدث الفرنسي بالعربية مع أحد الحمالين، وشيعها حتى استقرت في السيارة، ثم قال لها:

– إن بطاقتي معك يا سيدتي، فإذا احتجت شيئاً فلا تترددي في الاتصال بي.. إني مقيم في فندق "**جراند أوتيل**"، ولن أسافر إلا بعد أربعة أيام.

ورفع قبعته يحييها، وانطلق بها "التاكسي".

وتناولت "**هيلاري**" بطاقة الفرنسي لتقرأ اسمه: "**هنري لوربيه**".

وخرج بها "التاكسي" إلى ضواحي المدينة يشق الطرقات الريفية، وحاولت "**هيلاري**" أن تتطلع من النافذة، ولكن الظلام كان سائداً، يحول دونها ودون تبين معالم الطريق، فيماعدا بعض أبنية متناثرة كان الضوء يشع منها.

تزاحمت الخواطر في ذهنها وتدفقت، وأخذت تسائل نفسها: «ترى أمن هنا تبدأ رحلتها إلى المصير المجهول؟وهل السيد "**هنري لوربيه**" عميل سري من عملاء المنظمة؟»

هل يكون هو الذي أغرى "**توماس بيترتون**" بأن يتخلى عن عمله، ويهجر زوجته ويرحل عن وطنه..؟ ثم إلى أين يمضي بها هذا "التاكسي"؟

ولكن «التاكسي» ما لبث أن توقف بها أمام فندق "**قصر الجمال**"، فانتزعها من دوامة خواطرها المتضاربة الصاخبة.

نزلت من السيارة، ودخلت إلى الفندق تشق طريقها وسط جو شرقي أصيل، فالثريات من النحاس المشغول، والأرائك والوسائد بدلاً من المقاعد، متناثرة بألوانها

الزاهية البراقة، والموائد في جميع الأركان وفوقها صواني القهوة والأقداح. أما غرفتها فكانت مزودة بكل وسائل الراحة العصرية.

أبدلت "**هيلاري كرافن**" ثيابها، ونزلت إلى قاعة المائدة لتناول العشاء، وكان الطعام شهيًا طيب المذاق.

دارت ببصرها في أرجاء القاعة تستجلي وجوه الحاضرين، وتتطلع إلى الداخلين والخارجين. واسترعى نظرها كهل ذو لحية صغيرة مدببة؛ إذ كان الخدم- جميعًا- يهرعون إليه مهرولين، لأقل إيماءة يبديها من رأسه أو إصبعه أو حتى من حاجبه.

أخذت تسائل نفسها عمن يكون هذا الرجل ذو الشخصية المرموقة.

وإلى مائدة أخرى تتوسط القاعة كان يجلس رجل ألماني، كما كان هناك كهل تجالسه فتاة على غاية من الجمال، تراءى لـ"**هيلاري**" أنها لابد أن تكون سويدية أو هولندية. كما كانت هناك أيضًا أسرة إنجليزية معها طفلان، وكذلك تناثر حول الموائد الأخرى جماعة من الأمريكيين، وثلاث من الأسر الفرنسية.

وما إن فرغت "**هيلاري**" من عشائها حتى خرجت إلى الشرفة؛ لتتناول قهوتها وكان الجو باردًا، فسرعان ما لاذت بمخدعها.

وفي الصباح عادت إلى الشرفة، والشمس تغمر الأرض بضيائها وأشعتها التي تبعث الدفء، واتخذت مكانها تحت مظلة تقيها الحرارة المتوهجة.

جاءت السويدية الشقراء فجلست إلى إحدى الموائد، وأخذت تتثاءب في ضجر وملل، وقد زوت ما بين حاجبيها. ثم أقبل رفيقها الكهل، وتساءلت "**هيلاري**" عما إذا كان زوجها أو أباها. وحيته الفتاة في وجوم دون أن تبتسم، ثم مالت إليه تحدثه في عصبية، فانكمش الرجل، وبدا كمن يعتذر إليها.

ثم أقبل الرجل ذو اللحية المدببة، واتخذ لنفسه مائدة في أقصى الشرفة، وهرول إليه الخادم وهو يكاد يركض، فتلقى أوامره ثم انصرف مسرعًا.

لمست السويدية الحسناء ذراع رفيقها، واتجهت ببصرها ناحية الكهل الملتحي، وغمغمت ببعض الكلمات.

طلبت "**هيلاري**" كأسًا من الشراب، وهمست تسأل الخادم:

– من يكون هذا الرجل الجالس في أقصى الشرفة؟

– أجاب الخادم في زهو وخيلاء:

– إنه السيد "**أريستيد**"، إنه ثري جداً.. من كبار المليونيرات.

تطلعت "**هيلاري**" إلى الرجل.. هذا العجوز المنكمش في نفسه.. هذا المخلوق المغضن الوجه، الذي يبدو أشبه بالمهرجين. ألأن خزائنه عامرة بالمال يولونه كل هذا الاهتمام؟!

رفع الرجل رأسه، وتلاقت نظراته بنظرات "**هيلاري**" برهة، ثم ما لبث أن أشاح عنها.

نهضت السويدية الحسناء ورفيقها، ودخلا إلى المائدة، ثم رجع الخادم يحمل كأس الشراب، وقال لها وهو أمامها إلى المائدة:

– هذا الرجل الذي مضى الآن إلى قاعة الطعام.. إنه قطب من أقطاب الصناعة في العالم وهو غني جداً..

والسيدة التي معه نجمة من نجوم السينما.. ويقولون عنها إنها "**جريتا جاربو**" أخرى.. إنها أنيقة جداً، وجميلة جداً، ولكنها دائماً تتشاحن معه. لاشيء يعجبها هنا.. لقد كرهت "**فزان**" حيث لاتوجد محال، وهي تريد منه أن يذهب بها غداً إلى مكان آخر يبعث على التسلية.

ثم أردف:

– حتى الأثرياء لاينعمون بالراحة وهدوء الليل.

وعند هذه الكلمات استدار الخادم، وأسرع منصرفاً؛ ليلبي إشارة لأحد النزلاء.

جاء إلى الشرفة من المشرب شاب فرنسي وسيم، ورمى "**هيلاري**" بنظرة طويلة ذات مغزى خفي، كأنما يقول لها: "ما الذي يدعوك إلى البقاء هنا؟ لِمَ لا تتمشين قليلاً في الحديقة؟"

ثم هبط الدرج إلى الحديقة وهو يتمتم بمقطوعة من إحدى الأوبرات الفرنسية منشداً:

"وكانت أزهار اللوربيه صفوفاً طويلة"

"منتشية تحلم أحلامًا جميلة"

أيقظت كلماته في نفس "**هيلاري**" ذكرى بعيدة.. ذلك الفرنسي الذي التقت به في القطار وقدم إليها بطاقته.

أما كان يدعى "**لورييه**"؟ وها هو ذا الفرنسي يردد نفس الكلمة: "زهرة لورييه"..! فهل ثمة ارتباط بين الأمرين؟ أم ليس سوى مصادفة؟

فتحت حقيبتها وتناولت البطاقة.. نعم إنه يدعى "**هنري لورييه**"، وعنوانه رقم 3 شارع "**كوراسانت**"، "**كازابلانكا**".

وجعلت تقلب البطاقة بين أصابعها وهي ساهمة شاردة، ثم فطنت إلى آثار كتابة متخلفة على ظهر البطاقة بعد أن محيت الكلمات.

ورفعت البطاقة إلى عينيها في ضوء الشمس، محاولة أن تتبين آثارًا أخرى مطموسة غير واضحة، وأخيرًا كلمة: "**دانتان**".

ومضت تتساءل عما إذا كانت هذه الكلمات تنطوي على معنى خفي؟

ثم هزت كتفيها يائسة، ونفضت الفكرة من رأسها، ودست البطاقة في حقيبتها، سقط ظل على وجهها، فرفعت رأسها مجفلة.

كان السيد "**أريستيد**" منتصبًا عن كثب منها بينها وبين الشمس، فوقع ظله على وجهها، بيد أنه لم يكن ينظر إليها، وإنما كان يتطلع إلى التلال البعيدة عبر الحديقة.

سمعته يتنهد، ثم يستدير فجأة متجهًا إلى قاعة الطعام، فإذا بذراعه تصطدم بكأس الشراب الموضوع على مائدتها فأطاح به إلى الأرض وتهشم.

وتحول إليها المليونير اليوناني قائلاً بالفرنسية:

– آه..! ألف معذرة يا سيدتي.

ابتسمت "**هيلاري**" في وجهه، وأكدت له أن الأمر ليس بذي أهمية. وتلبية لفرقعة خفيفة من إصبعيه جاء الخادم مهرولاً، فأمره بأن يجلب للسيدة كأسًا أخرى، ثم كرر اعتذاره، ومضى إلى قاعة الطعام.

عاد الشاب الفرنسي من الحديقة، وهو مازال يترنم مغنيًا، وحين مر بجانب "**هيلاري**" تريث في مشيته عمدًا.

وإذ رآها لا تشجعه ولاتلقي إليه بالاً، هز كتفيه متفلسفًا وتابع طريقه.

وحمل إليها الخادم شرابها فسألته "**هيلاري**" :

- هل ينزل السيد "**أريستيد**" في الفندق وحده أم معه حاشيته؟

- إن الأثرياء من أمثاله لايسافرون وحدهم أبداً.. إن معه وصيفه وسائق سيارته واثنين من السكرتارية.

وحين ذهبت "**هيلاري**" إلى قاعة الطعام رأت الكهل اليوناني منفرداً إلى إحدى الموائد، كما كان شأنه في الليلة السابقة، وإلى مائدة قريبة كان يجلس شابان رجح لديها أنهما السكرتيران؛ إذ كانا لايفتآن يتطلعان إلى المائدة التي يجلس إليها السيد "**أريستيد**".

انقضت الظهيرة في سلام وهدوء، وطاب لـ"**هيلاري**" أن تمضي معظم الوقت في الحديقة غارقة في أحلامها وخواطرها، ناعمة بالجو الشذي والنسمات العطرة التي تنساب حولها.

أشرفت الشمس على المغيب، وهبت نسمات باردة ارتعدت لها "**هيلاري**"، فزايلت الحديقة إلى قاعة الجلوس، وإذا بها تلتقي وجهًا لوجه بالسيدة "**كالفين بيكر**".

قالت لها الأمريكية:

- لقد وصلت لتوي بالطائرة من "**كازابلانكا**"؛ فإني لا أطيق القطارات باهتزازها وتأرجحها فوق القضبان.

ولم تدع لـ"**هيلاري**" فرصة للحديث، وإنما استطردت على الفور تقول:

- وكيف حالك الآن؟ لابد أنك زرت المدينة القديمة اليوم؟

فأجابت:

- الحق أني أمضيت نهاري أستمتع بالشمس.

- آه.. لقد نسيت أنك خارجة لتوك من المستشفى، فلابد بعد الارتجاج من الراحة والاستجمام، وأن ترقدي في غرفة معتمة معظم ساعات النهار، ورويداً رويداً يمكن أن تعتادي المشي والتجوال، وعندئذ سأدعوك إلى أن تصحبيني في بعض الرحلات، فإني أحب أن أجعل أيامي حافلة زاخرة بالنشاط على الرغم مما بلغت من

العمر.

هنأتها "**هيلاري**" بوفرة حيويتها ونشاطها.

واستطردت السيدة "**بيكر**":

– أتذكرين السيدة التي عرفتك بها في "**كازابلانكا**"؟

الآنسة "**هيذرنجتون**"؟ إنها قادمة اليوم بالقطار إذ تؤثره على الطائرات.

واستمرت تقول مندفعة كالسيل الجارف:

– لقد حجزوا لي غرفة لاتروقني، ولكنهم وعدوا بتغييرها، وسأذهب إليهم الآن لأرى ما اتخذوا في هذا الشأن.

وانصرفت على الفور تمشي في نشاط لايتفق وسنها.

وعندما نزلت "**هيلاري**" إلى قاعة الطعام مساء ذلك اليوم كانت الآنسة "**هيذرنجتون**" هي أول شخص وقع عليه بصرها.

وبعد العشاء شربت السيدات الثلاث القهوة معًا، وتبادلن ملاحظات عابرة عن نزلاء الفندق الذين كانوا متناثرين حول الموائد يتناولون العشاء.

- 7 -

مضت "**هيلاري**" إلى مكتب الاستعلامات بالفندق؛ لتخطرهم بعزمها على زيارة الحي الشرقي، فزودوها بدليل يصحبها إليه.

ومضى الدليل تصحبه "**هيلاري**"، وأخذا يجتازان حديقة الفندق الشاسعة الأرجاء، حتى إذا انتهيا إلى طرفها القصي أخرج الدليل من جيبه مفتاحًا كبير الحجم، وفتح به بابا تكاد تحجبه الأشجار عن النظر، ودلف منه تتبعه "**هيلاري**".

تسمرت "**هيلاري**" مكانها في عجب ودهشة، فقد ألفت نفسها في دنيا غير تلك الدنيا التي كانت تعيش فيها منذ لحظات.

إذن فهذا هو الحي الشرقي الشهير!

شوارع ضيقة ملتوية، لا تكاد تتسع لاثنين يسيران جنبًا إلى جنب، وبيوت منخفضة متلاصقة لو أن الأذرع ارتفعت لطاولت سقوفها، وأناس يروحون ويغدون

في عباءاتهم الواسعة الفضفاضة. أما الحوانيت فتكدست فيها السلع والتحف الشرقية الجميلة، المصنوعة من الجلد المزركش أو النحاس المشغول.

فتنها المشهد وسحرها، لولا هذا الدليل الذي كان لا ينفك يثرثر في أذنيها من لحظة لأخرى: «انظري إلى هذا يا سيدتي.. تأملي ذلك.. هل يعجبك هذا؟

كأنما ليس لها عينان ترى بهما.

وأخيراً قال لها الدليل بعد أن امتدت بهما الجولة وطالت:

– والآن سأذهب بك يا سيدتي إلى مشرب للشاي، حيث تتناولين الشاي المغربي الشهير بمذاقه اللذيذ.

مضى بها إلى مشرب يقع على سفح أحد التلال، فألفت نفسها داخل مبنى شرقي الطراز، تناثرت على أرض القاعة وسائد من الجلد المزركش، وأرائك مكسوة بقماش منقوش زاهي اللون. وقدم إليها الشاي المخلوط بالنعناع في كوب زجاجي صغير الحجم، وكان عليها أن تشرب مثنى وثلاث ورباع.

قال لها الدليل:

– والآن سآخذك في السيارة إلى الضاحية؛ لتري مشهد الطبيعة في بلادنا. وإنه لمشهد ساحر خلاب.

ثم أردف:

– ولكن هذه الخادمة ستذهب بك أولاً إلى الحمام؛ إذ لاشك في أنك تريدين أن تغتسلي.

تدخلت الخادمة في الحديث، قائلة في ابتسامة لطيفة:

– إن لدينا في "**فزان**" يا سيدتي حمامات رائعة، لا تقل جمالاً عما رأيت في "**لندن**"أو "**باريس**" أو "**شيكاغو**".

نهضت "**هيلاري**" عن الوسادة التي كانت متربعة فوقها، ومضت في أعقاب الخادمة.

كان الحمام فعلاً على غاية من الأناقة والنظافة، وكان مزوداً بالماء الساخن والبارد. فرغت "**هيلاري**" من تجميل نفسها. وهمت بالخروج، ولكنها حين أدارت

مقبض الباب، استعصى وأبى أن ينفتح.

عقدت "**هيلاري**" ما بين حاجبيها دهشة وغضبًا، إذ ما معنى أن تحبس في الحمام؟ ومن يكون ذلك الذي أوصد عليها الباب من الخارج؟

وهمت بأن تقرع الباب، لولا أن فطنت إلى باب آخر يقوم في الجدار المقابل، فسارعت إليه وأدارت مقبضه فانفتح على الفور..

وجدت نفسها في غرفة صغيرة شرقية الطراز معتمة الضوء.. وحين ألفت عيناها الرؤية، وأدارت بصرها في أرجاء المكان، إذا بها تراه جالسًا هناك على أريكة يدخن سيجارته في هدوء:

ذلك الفرنسي الذي التقت به في القطار السيد "**هنري لورييه**"..!

*****

لم ينهض الفرنسي ليحييها، وإنما لزم مكانه واكتفى بأن يقول لها:

- طاب يومك يا سيدة "**بيترتون**".

لبثت مكانها برهة جامدة بلا حراك، وطغت عليها دهشة ألجمت لسانها وشلت تفكيرها، ثم بدأت تستعيد رباطة جاشها.

إذن فقد بدأت الرحلة الحقيقية! إذن فهذه هي المغامرة التي كانت تترقبها.. إن عليها أن تتصرف طبقًا لما كان مفروضًا أن يصدر عنها "هي"، عن السيدة "**بيترتون**" الحقيقية.

إن عليها أن تتقن أداء دورها، وإلاّ أودت بنفسها إلى التهلكة.

قالت وقد تمالكت وسيطرت على أعصابها:

- ألديك أنباء لي؟ أيمكنك أن تساعدني؟

فأومأ إيجابًا، ثم أردف بنبرة لوم وعتاب:

- ما بالك كنت في القطار متحفظة حذرة، مع أنني ظللت طوال الوقت أحدثك عن الجو؟

الجو؟ ترى ما الذي قاله السيد "**لورييه**" عن الجو؟

نعم لقد تكلم عن البرد.. وعن الضباب.. وعن الثلج.. آه. عن الثلج!

"الثلج"..! نفس الشيء الذي تحدثت عنه "**أوليف بيترتون**" وهي تحتضر وتلفظ أنفاسهاالأخيرة.

وذكرت على الفور أغنية الطفولة التي رددتها عندئذ، وبادرت على الفور تكرر نفس المقطوعة.

"الثلج، الثلج، الثلج الجميل"

"تدوسين على قطعة منه. وتنزلقين.."

"ثم تذهبين.. تذهبين"

وقال "**لورييه**":

– تمامًا.. إنها كلمة السر المتفق عليها فلماذا لم تستجيبي إذ ذاك وترددينها على الفور كما أمرت؟

قالت "**هيلاري**":

– أغاب عنك أني كنت مريضة..؟ لقد كنت في الطائرة التي سقطت واصبت بارتجاج في المخ أثر على ذاكرتي إلى حد ما.. إنني مازلت أذكر الماضي بدقائقه وتفاصيله، ولكنني في بعض الأحيان أشعر بفراغ وينمحي كل شيء من ذهني.

فقال "**لورييه**" مؤمنًا:

– إني أستطيع أن أدرك هذا، ولكن المشكلة هي: هل أنت في حالة يمكنك معها أن تواصلي الرحلة؟

فأجابت في حماس:

– بالتأكيد سأواصل الرحلة.. إن زوجي..

فقاطعها:

– إن زوجك على ما فهمت في انتظارك، في لهفة وشوق.

وابتسم في وجهها. بيد أن ابتسامته كانت متسمة في ثناياها بقسوة واضحة.

وسألها:

– أتعتقدين أن السلطات الإنجليزية اقتنعت بإجاباتك عندما استجوبتك؟

فأجابت :

– وأنى لي أن أعلم؟ ولكن يبدو أنهم كانوا راضين.

ثم أردفت :

– ولكني أعتقد أنهم وضعوني تحت المراقبة منذ غادرت "**إنجلترا**" .

إنني بالتأكيد لم أفطن إلى أن هناك من يتعقبني، ولكن لديّ إحساس داخلي بهذا.

فقال "**لورييه**" في برود :

– هذا أمر طبيعي توقعناه وأدخلناه في حسابنا.. إننا لسنا بالأطفال البلهاء يا سيدة "**بيترتون**" . إنك كنت تحت المراقبة منذ اللحظة التي اختفى فيها زوجك، ومع ذلك استطعنا أن نبلغك رسالتنا، أليس كذلك..؟

فقالت مؤمنة :

بالتأكيد.. بالتأكيد.

– والآن سأزودك بتعليماتنا الجديدة.. بعد غد تسافرين إلى "**مراكش**" طبقًا لجدول الحجز السابق، وفي "**مراكش**" ستتلقين برقية من "**إنجلترا**" تحملك على أن تتخذي على الفور الإجراءات اللازمة للعودة إلى "**إنجلترا**" .

فقالت في استغراب :

– هل سأعود إلى "**إنجلترا**" ..؟

فأجاب في جفوة :

– أنصتي إليّ ولا تقاطعيني. ستحجزين لك مكانًا في الطائرة التي ستغادر "**كازابلانكا**" في اليوم التالي.

– وهب أن المقاعد كلها كانت مشغولة؟

– لن تكون كلها مشغولة.. ستجدين مقعداً شاغرًا في انتظارك.. لقد اتخذنا العدة لكل شيء.

ثم أردف :

– والآن هل وعيت التعليمات تمامًا؟

– وعيتها تمامًا.

– إذن عودي إلى الدليل فقد طال انتظاره..

وبهذه المناسبة، إنك تعرفت إلى امرأتين في "**قصر الجمال**" إحداهما أمريكية والأخرى إنجليزية، اليس كذلك؟

فأجابت في نبرة من الوجل:

– بلى.. فهل أخطأت في هذا..؟ لقد فرضت الأمريكية نفسها عليّ، ثم عرفتني بزميلتها.. إني آسفة.

فقال:

– هوني عليك، فهذا التعارف يلائم خطتي.

ثم أردف:

– يحسن بك أن تحاولي إقناع إحداهما بمرافقتك في رحلتك إلى "**مراكش**".

– سأحاول يا سيدي، وإن كنت لا أدري إن كانت ستقبل أم لا.

– إذن إلى اللقاء.. طاب يومك.

رجعت "**هيلاري**" إلى الحمام، ومن الغريب أن الباب المفضي إلى المشرب استجاب لها حين أدارت مقبضه.

قالت الآنسة "**هيذرنجتون**" تخاطب "**هيلاري كرافن**":

– إذن فأنت مسافرة غداً إلى "**مراكش**"...؟ ولكنك لم تقيمي في "**فزان**" إلا فترة وجيزة.

– لقد استمتعت منها بما يكفي.

ثم أردفت:

– ولعلي أستطيع ان أغري أيكما بمصاحبتي في رحلتي إلى "**مراكش**"، فقد سعدت بالتعرف إليكما، وسفر المرء وحيداً يبعث على الضجر.

فقالت الآنسة "**هيذرنجتون**":

– أرجو أن تعفيني من هذه الرحلة، فقد زرت "**مراكش**" من قبل.

ولكن السيدة "**بيكر**" قالت:

- لقد كنت في "**مراكش**" منذ شهر، ولكن لِمَ لا أزورها مرة أخرى؟ إنني ولعة بالرحلات،والمرء حين يزور بلداً للمرة الثانية، فإنه يستشف منها ما لم يفطن إليه أول مرة.. إني ذاهبة من فوري لأحجز تذكرة للسفر.

*****

خلت "**هيلاري كرافن**" إلى نفسها، وانهالت على ذهنها الخواطر صاخبة متضاربة، كأنها دوامة في لجة من الماء.

انتزعت نفسها من خواطرها حين سمعت بغتة إلى جانبها صوتًا يقول:

- اتسمحين لي يا سيدتي أن أجالسك برهة؟

وكان المتحدث هو ذلك المليونير اليوناني ذو اللحية المدببة: السيد "**أريستيد**". وسحب مقعداً وجلس بجانبها، وقدم إليها سيجارة وأشعل لنفسه أخرى.

- ترى هل أعجبتك هذه المدينة يا سيدتي؟

فأجابت:

- لست أدري، فإني لم أقض فيها إلا فترة وجيزة.

- وهل زرت الحي الشرقي؟

- إنه رائع خلاب.

فقال:

- صدقت.. إنه رائع حقًا. إنه موطن "الماضي".. الماضي بدسائسه وهمساته الخافتة وغموضه السحري وعواطفه الجياشة!

ثم أردف:

- اتعرفين يا سيدتي ما يطوف بذهني حين أجوس خلال شوارع "**فزان**" الضيقة المتعرجة؟ إنني عندئذ أذكر شوارع "**لندن**" المتسعة المكشوفة. هناك كل شيء واضح صريح، أما هنا فالغموض هو السائد، والستائر تخفي كل ما يجري وراءها.

ثم أردف:

- اتعلمين يا سيدتي أنني أحسدك على التجربة التي مررت بها في حادث

سقوط الطائرة..؟

لقد تمنيت لو أنني كنت مكانك..! إنها لمغامرة رائعة أن يرى المرء الموت، ثم إذا به يرتد إلى الحياة ..! ذلك شيء ينقي الروح ويطهرها.

وكما جاء فجأة انصرف فجأة، و"**هيلاري**" تتابعه بنظرة تفيض بالدهشة والاستغراب.

- 8 -

في قاعة الانتظار بالمطار كانت "**هيلاري كرافن**" تترقب قيام الطائرة، وإلى جانبها السيدة "**بيكر**" تصب في أذنيها ثرثرتها التي لاتنتهي، وتجيب في شرود عن الأسئلة التي توجه إليها.

ولكن سيل الحديث المتدفق ما لبث أن اتخذ مجرى آخر، فقد التفتت السيدة "**بيكر**"إلى شابين كانا يجلسان عن كثب منها، أحدهما أمريكي يتألق وجهه دائمًا بابتسامة عريضة مشرقة، والآخر فيما يبدو هولندي أو نرويجي السحنة، وأكثر جدًّا ووقارًا من صاحبه.

وقالت السيدة "**بيكر**" تخاطب الأمريكي:

– إني أحب أن أعرفك بصديقتي السيدة "**بيترتون**" يا سيد .. يا سيد..

– "**آندرو بيترز**".. وأصدقائي ينادونني باسم "**آندي**". ونهض الآخر واقفًا وانحنى باحترام وقدم نفسه بقوله:

– "**توركيل إيريكسون**".

قالت السيدة "**بيكر**":

– والآن وقد تعارفنا.. هل نحن جميعًا ذاهبون إلى "**مراكش**"؟

إنها أول زيارة لصديقتي إلى هذه المدينة.

فقال النرويجي "**إيريكسون**":

– وهي أول زيارة لي أيضًا.

فقال "**بيترز**":

– وهذا ينطبق عليّ.

وعلا صوت الميكروفون في كلمات متداخلة غير واضحة، فهموا منها أن موعد طائرتهم قد حان.

وبخلاف هؤلاء الأربعة ضمت الطائرة شخصين آخرين: رجلاً فرنسيًّا وراهبة صارمة القسمات، جامدة الوجه.

أسندت "هيلاري" رأسها إلى ظهر المقعد، وأطبقت عينيها. ران عليها النعاس، وما لبثت أن استغرقت في النوم.

صحت "هيلاري" فجاة من نومها، ولاحظت أن الطائرة تنحدر إلى الأرض مخفضة من سرعتها، ومالت إلى النافذة تطل من ورائها. بيد أنها لم تر أثرًا لأي مطار.

وتثاءب الفرنسي وقال:

– يبدو أننا سنهبط،ولكن لماذا؟

قالت "هيلاري":

– فعلاً فقد أخذت الطائرة تهبط، ودارت حول نفسها عدة دورات، وتوقفت محركاتها وسكن الهدير. ترى هل أصاب الطائرة خلل ما؟ أم أن الوقود نفد منها..؟

ارتطمت العجلات بالأرض، وجرت وهي تهتز وتتأرجح فوق المطبات غير المستوية.

وجاء الطيار من مقصورته يقول لهم:

– أرجوكم جميعًا أن تتفضلوا بالنزول.

غادروا الطائرة تباعًا واحداً في إثر الآخر.

لم يكن مطاراً ذلك الذي هبطوا فيه، وإنما كان بقعة منعزلة في قلب الصحراء الممتدة بلا حدود.

وقالت "هيلاري" متسائلة في صوت تغشاه الحيرة:

– ولكن ما الذي حدث؟ لماذا نزلنا هنا؟

وقال الطيار مجيباً:

– إننا على أية حال لن نبقى إلا دقائق قليلة.

ورمى بصره عبر الأفق، ناحية الجبال المكسوة بالثلوج، وقال:

– لقد تأخرت قليلاً، ولكن ها هي ذي قادمة على البعد.

وقال المسافر الفرنسي:

– لقد فهمت أنه ستكون في انتظارنا سيارة "ميكروباص" لكي نكمل الرحلة فيها.

وعادت **"هيلاري"** تتساءل:

– هل أصاب المحرك عطب؟

ابتسم **"بيترز"** ابتسامته العريضة المألوفة، التي تشيع في كل ثنايا وجهه وقال:

– لا.. إن المحرك سليم، ولكن كان لابد أن يدبروا شيئًا من هذا القبيل.

وأخيرًا جاءت السيارة الـ "ميكروباص" يقودها سائق من البربر في سرعة خاطفة، اضطر معها إلى أن يضغط فراملها بكل قوة حتى توقفت بجوارها في المكان المناسب.

ولدهشة **"هيلاري"** سمعت السيدة **"بيكر"** تصدر أمرًا بقولها:

– هيا أسرعوا فلا نريد أن نتأخر أكثر من هذا.

ومضى السائق إلى الجزء الخلفي من السيارة، وفتح الباب فانكشف عن صندوق ضخم يشغل المؤخرة. وتعاون **"بيترز"** و **"إيريكسون"** مع السائق والطيار على إنزال الصندوق إلى الأرض في جهد ومشقة، إذ بدا ثقيلاً مرهقًا.

وأقبل الفرنسي على الصندوق يفتحه ويرفع غطاءه، فاقتربت منه **"هيلاري"** محاولة أن تتطلع إلى ما في داخله.

وأخذت السيدة **"بيكر"** بذراعها تنحيها جانبًا وهي تقول:

– لو أنني مكانك لما حاولت أن أتطلع إلى ما في الصندوق.

فقالت **"هيلاري"** في عجب واستغراب:

– ولِمَ لا؟ ما الذي في الصندوق؟

وتألقت ابتسامة **"بيترز"** العريضة وقال:

– إنني أعرف ما فيه.. إن فيه مجموعة من الجثث؟!

رددت **"هيلاري"** في ذهول:

– جثث؟

– نعم جثث.. جثث اشتريت بطريقة قانونية سليمة؛ لإجراء أبحاث طبية عليها، والذي اشتراها هو الدكتور "**بارون**".

وأشار إلى الرجل الفرنسي، ثم استطرد:

– هنا تنتهي رحلتنا يا سيدة "**بيترتون**".. أعني المرحلة الأولى من الرحلة.. ستوضع الجثث في الطائرة ثم تشتعل فيها النيران، وسوف نراها على البعد – ونحن نستقل "الميكروباص" شعلة – متأججة.

وغمغمت "**هيلاري**": ولكن لماذا؟ لماذا؟

وكان الدكتور "**بارون**" هو الذي أجاب:

– ولكنك تعرفين بالتأكيد إلى أي مكان سوف نذهب. إننا ذاهبون إلى المصير المجهول.

- 9 -

– والآن أرجو أن تستقلوا "الميكروباص"، وأن تسرعوا فقد تأخرنا عن الموعد المقرر.

صعدوا إلى "الميكروباص"، والتفتت "**هيلاري**" إلى المرأة الأمريكية وقد بدأت تدرك حقيقة الوضع وسألتها:

– إذن فأنت ما يسمونه بضابطة الاتصال؟

فأجابتها السيدة "**بيكر**":

– تمامًا.. إنني ضابطة الاتصال التي تتولى العلاقات العامة، فليس ما يثير الشك أن تري سيدة أمريكية تنتقل بين مختلف البلاد، وتتحدث إلى هذا وذاك. فتلك طبيعة الأمريكيين.

واستطردت السيدة "**بيكر**":

– وسوف يكون خبرًا مثيرًا أن يقرأ الناس في الصحف أن الطائرة سقطت بالسيدة "**بيترتون**" للمرة الثانية. وإن كانت في هذه المرة قد احترقت مع سائر الركاب، ولم يعثر في الحطام إلا على جثث شوهتها النيران واختفت معالمها المميزة.

أطلقت السيدة "**بيكر**" ضحكة مرحة، وأدركت "**هيلاري**" مدى دهاء الخطة

المدبرة وبراعتها.

وقالت:

- وهؤلاء الآخرون؟ ما شأنهم؟

فأجابتها السيدة "**بيكر**":

- الدكتور "**بارون**" من أشهر علماء الجراثيم، والسيد "**إيريكسون**" من أفذاذ علماء الطبيعة، أما السيد "**بيترز**" فباحث كيماوي شهير، والآنسة "**نيدهايم**" ليست راهبة بالتأكيد، وإنما هي إخصائية في الغدد، أما أنا فلا أنتمي إلى البيئة العلمية، وإنما مجرد ضابطة اتصال.

وتساءلت "**هيلاري**":

- والآنسة "**هيذرنجتون**"..؟ ما شأنها؟

- شأنها فيما أعتقد هو مراقبتك وتتبع خطواتك مذ حللت بـ"**كازابلانكا**"، وكذلك التأكد من أن أحداً لايقتفي أثرك، وإن كنت في حقيقة الأمر لاأعرف شيئًا عنها، فربما كانت غير منتمية إلينا.

وهتفت السيدة "**بيكر**":

- آه..! انظري..! ها هي ذي تشتعل!

مالت "**هيلاري**" إلى النافذة تتطلع منها،ورأت على البعد شعلة تتأجج من النيران، وسمعت دوي انفجار خافت.

ورمى "**بيترز**" برأسه إلى الوراء، ثم قال وهو يضحك:

- غدا تنشر الصحف بالخط العريض: "ستة أشخاص يلقون حتفهم، عندما هوت بهم الطائرة وهم في طريقهم إلى "**مراكش**"" ولن يخطر لهم ببال أبداً أن هؤلاء الأشخاص الستة كانوا من قبل جثثًا هامدة شبعت موتًا!

همست "**هيلاري**":

- هذا مخيف..! مخيف جداً..!

- أتعنين الانطلاق إلى المصير المجهول؟

كان "**بيترز**" هو الذي تكلم، وكان الآن يبدو جادًا، تبددت من سماته أمارات

المرح التي كانت تغشاه.

واستطرد:

– هذا صحيح، ولكنه الطريق الوحيد. إننا الآن نطرح "الماضي" وراءنا،ونخطو نحو "المستقبل".

أضاء وجهه بإشراقة من الحماس والانفعال وقال:

– الآن نهجر خلفنا الأشرار والمجانين.. الحكومات الفاسدة وتجار الحروب.. سنذهب إلى الدنيا الجديدة– دنيا العلم، بعيدين عن الحثالة والقاذورات.

زفرت "**هيلاري**" نفسا عميقًا، وقالت عن عمد:

– قولك هذا شبيه بما كان يردده زوجي دائمًا.

فقال:

– زوجك؟ أتعنين "**توماس بيترتون**"؟ إنني لم أتعرف إليه قط في "**الولايات المتحدة**". وإن كانت بعض المؤتمرات قد ضمتنا أكثر من مرة.. إن جهاز تفتيت الذرة، الذي وفق إليه من أعظم الاختراعات في العصر الحديث، وإني لأجله وأقدره من أجل هذا.. إنه كان يعمل مساعداً للبروفيسور "**مانهايم**"، أليس كذلك؟

فأومأت "**هيلاري**" إيجابًا، فاستطرد "**بيترز**":

– لقد قيل لي إنه تزوج ابنة "**مانهايم**"، ولكنك بالتأكيد لست..

فقاطعته:

– إنني زوجته الثانية، فقد ماتت "**إلزا**" في "**أمريكا**".

– آه.. آه.. إنني اذكر هذا الآن.. وبعد وفاتها سافر "**بيترتون**" إلى "**إنجلترا**" ليعمل هناك، ثم أذهل العالم بأن اختفى فجأة..

ضحك "**بيترز**" واستطرد:

– تلاشى فجأة وهو يحضر أحد المؤتمرات في "**باريس**"،وابتلعه "المجهول".. الحق أن المنظمة تعرف كيف تدبر خططها.

وكان هذا هو الذي يثير الفزع في قلب "**هيلاري**": إن المنظمة تجيد تدبير الخطط. جميع إجراءات الأمن التي اتخذت لحمايتها.. جميع التدابير التي وضعت

لتتبع خطواتها، كل هذا قد انهار وذهب هباء، فلا أحد الآن يعرف مكانها.. غداً سيقال إن السيدة "**بيترتون**" لقيت حتفها عندما سقطت بها الطائرة للمرة الثانية، ولن يخطر ببال أحد أنها الآن في قلب الصحراء، منطلقة إلى "المصير المجهول" حيث سبقها إليه "**توماس بيترتون**" من قبل.. لقد اختفت آثارها، ولم يعد باقيا إلا طائرة محترقة ورماد ست من الجثث.

تُرى هل يستطيع "**جيسوب**" أن يعرف أنها هي - "**هيلاري كرافن**"- لاتزال على قيد الحياة، وأن جثتها ليست بين هذه الجثث الست المحترقة؟ أغلب الظن أنه لن يعرف أبداً، فقد دبرت الخدعة بدهاء منقطع النظير.

إنهم الآن ستة أشخاص، في سيارة "ميكروباص"، في قلب الصحراء- فكيف يمكن أن تختفي آثارها بمثل هذه السهولة؟

ألا يحتمل أن يرى السيارة أي إنسان؟ هل قضي عليهم بأن تنقطع صلتهم إلى الأبد بعالم البشر؟ إن هذا ليبدو مستحيلاً، على الرغم من براعة الخطة المدبرة ودهائها.

وهمست "**هيلاري**":

- ولكن إلى أين نحن ذاهبون..؟

أجابت السيدة "**بيكر**":

- مهلاً ولاتتعجلي..! سوف تعرفين كل شيء في الوقت المناسب.

وتابعت السيارة مسيرتها بلا هوادة و"**هيلاري**" لائذة بالصمت، تضطرب في متاهات الخيال والوساوس.

مال رأسها فوق صدرها، وما لبثت أن أخذتها غفوة من النوم.

*****

في رفق لمس "**بيترز**" ذراعها وهو يقول:

- استيقظي إذ يبدو أننا بلغنا مكانًا ما.

هبطوا جميعًا من السيارة، وكان الليل قد أرخى سدوله واشتد الظلام، وعلى ضوء أحد المشاعل ساروا إلى بيت ريفي، تحف به أشجار النخيل الباسقة، وعند بابه

امرأتان من البربر تتسامران وتضجان بالضحك.

اقتيدت النساء الثلاث- "**هيلاري**"، والسيدة "**بيكر**"والراهبة- إلى غرفة فيها ثلاث مراتب وبعض الأغطية، ولاشيء غير ذلك من الأثاث.

قالت السيدة "**كالفين بيكر**" : وددت لو أني الآن في فندق "**قصر الجمال**"، أنعم بالراحة على فراش وثير، فقد حطمت السيارة أضلعي.

فردت عليها الراهبة في صوت جاف به مسحة من الاسترجال:

- الراحة نقمة، تخلق الضعف والمذلة والهوان.

فتطلعت إليها السيدة "**بيكر**" تتأملها ثم قالت:

- إني أستطيع أن أتخيلك يا آنسة "**نيدهايم**" جاثية على الأرض فوق الحصى والأحجار تبتهلين وتصلين، دون أن يداخلك شعور بالتعب أو الإنهاك.

ثم التفتت إلى السيدة "**بيترتون**" قائلة:

- بعد أن نتعشى سآتيك بقرص من الأسبرين، فتستغرقين في النوم بعد مشقة هذه الرحلة المضنية.

وجيء إليهن بالطعام والشاي المعطر بالنعناع، وما إن أتين عليه متعجلات حتى هرعن إلى مراقدهن، وغرقن في نوم عميق.

قالت السيدة "**بيكر**" لصاحبتيها في الصباح:

- إن الرحلة لن تعود مسيرتها إلا عند هبوط المساء.

جاءت إليهن الخادمتان بثياب وطنية، فقالت السيدة "**بيكر**" :

- منذ هذه اللحظة سنرتدي الزي الوطني المراكشي ونخلع ثيابنا الأوربية.

وأمضت النساء الثلاث نهارهن بين الفراش وبين الجلوس على سطح البيت، يشرفن على مشاهدة الطبيعة التي تدور حولهن، وعلى قرية ريفية تتراءى لهن على البعد.

وأخيراً حانت ساعة الرحيل، وقد توارت الشمس وراء الأفق.

وفي هذه المرة لم يستقلوا السيارة ا"لميكروباص" المقفلة، وإنما انحشروا في سيارة سياحية مكشوفة. وكانت النساء يرتدين الزي الوطني المراكشي، وعلى وجوههن

نقاب مسدل، أما الرجال فلبسوا الجلاليب والعباءات الفضفاضة.

تتابعت ساعات الليل والسيارة تمرق بهم عبر الصحراء الممتدة، وهم صامتون يداعب النوم أجفانهم، والمقاعد غير المريحة تقض أجسادهم المرهقة.

قال "**آندرو بيترز**" وقد تبدد الليل وبزغت الشمس، وتوقفت بهم السيارة ونزلوا منها ليتناولوا طعام الفطور:

– كيف حالك يا سيدة "**بيترتون**"؟ لقد كانت ليلة مضنية؟

فقالت:

– طوال الليل والأحلام المزعجة تراودني.

ثم أردفت متسائلة:

– أين نحن الآن يا ترى..؟

– من يدري؟ إنها مجرد صحراء لا أول لها ولا آخر وهذا ما يلائم الخطة المدبرة؛ حتى لانخلف وراءنا أثرًا يهتدى به إلينا.

وأطلق ضحكته المرحة المعهودة واستطرد:

– أولاً– طائرة تنفجر ويحترق ركابها جميعًا.. وثانيًا– سيارة "ميكروباص" عليها لوحة تشير إلى أنها تابعة لبعثة هندسية تمسح الأرض.. وفي اليوم التالي سيارة سياحية يستقلها جماعة من البربر، وهذا أمر شائع في مثل هذه المناطق. أما المرحلة التالية من الرحلة فهذا ما لاعلم لنا به.

فتساءلت "**هيلاري**":

– ولكن ما وجهتنا؟

فهز "**بيترز**" كتفيه وأجاب:

– لاجدوى من السؤال، فتلك دائمًا أسئلة لا إجابة عنها.

- 10 -

استمرت الرحلة الغامضة أيامًا أخر.

كانت "**هيلاري**" تعيش معهم، وتؤاكلهم، وتتحدث إليهم وتخاطبهم، ومع

ذلك فقد ظلت طول الوقت تشعر بأنها بعيدة عنهم، لاتشاركهم آراءهم ومعتقداتهم، كأنما بينهم وبينها سد هائل. فهذا هو الدكتور "**بارون**" لايتمنى إلاَّ شيئًا واحدًا، هو أن يحصل على المال؛ ليغرق نفسه في معمله بين أجهزته وأنابيب الاختبار، وكان من حين لآخر يتحدث إليها عن قوة التدمير المروعة التي يمكن أن تحتوي عليها أنبوبة في حجم قبضة اليد.

وسألته:

– ولكن أيمكنك حقًّا أن تستعملها؟

فتطلع إليها في انفعال جنوني وقال:

– ولِمَ لا؟ مادام الأمر ضروريًا.

سرى الرعب في أوصالها، وهز أعماقها هزًّا عنيفًا، وداخلها شعور بالخوف منه.. ومن الآخرين.

ها هو ذا رجل يتحدث بمنتهى الاستخفاف عن إبادة الملايين من البشر، دون أن تهتز شعرة في رأسه.

وكذلك كانت "**هيلاري**" تكره تلك المرأة المتعجرفة المستعلية "**هيلدا نيدهايم**"، ولكنها كانت تميل إلى "**آندرو بيترز**"، وإن أفزعها منه ذلك الوميض المتألق، الذي كان يغشي عينيه من حين لآخر.

قالت له يومًا:

– إنك لاتريد أن تخلق دنيا جديدة، فإن الذي يسعدك إنما هو تدمير هذه الدنيا التي نعيش فيها.

فقال مستنكرًا:

– ما هذا الذي تقولين يا "**أوليف**"؟!

فقالت:

– إن الأمر واضح ولست مخطئة.. إني أكاد ألمس الحقد الذي يتأجج به صدرك.. الحقد.. الكراهية، الرغبة في التدمير– هذا هو ما يجيش به صدرك.

أما نظرة "**هيلاري**" إلى "**إيريكسون**" فكانت مختلفة.. إنه رجل حالم.. رجل

مثالي، متعلق بالأوهام.

كان دائمًا يردد: "إننا معشر العلماء يجب أن نسود العالم.. إننا نحن الذين يجب أن نحكم ونسيطر.. مقاعد الحكم لم تخلق إلا للعباقرة".

وهكذا كانوا جماعة واحدة يضمها مكان واحد، ولكن معتقداتهم ونزعاتهم كانت متنافرة متناقضة، بيد أنه كان يجمعهم هدف مشترك: ذلك أنهم كانوا جميعًا يتطلعون إلى وهم وسراب.

وفي نهاية اليوم الثالث هبطوا قرية صغيرة، ونزلوا في خان وطني متواضع، وطلبت إليهم السيدة "**بيكر**" أن يخلعوا الزي المراكشي وأن يعودوا إلى ثيابهم الأوربية.

وقالت لهم:

– أرجو أن تسرعوا، فإن الطائرة في الانتظار، فقالت "**هيلاري**" في استغراب:

– الطائرة؟!

– نعم. فحسبنا هذه السيارة التي أقضت منا الأضلع.

واستقلوا الطائرة، وكان قائدها فرنسي الجنسية بارعًا في مهنته وطاروا بضع ساعات، ومرت بهم الطائرة في أمان من وسط الجبال الشاهقة. وبعد ظهر اليوم التالي أخذت الطائرة تهبط إلى الأرض. حتى استقرت عجلاتها على سهل تحف به الجبال في مطار بدائي، يقوم عند طرفه القصي بناء أبيض.

اصطحبتهم السيدة "**بيكر**" إلى البناء وهي تقول آمرة:

– عليكم أن تغتسلوا وتتناولوا القهوة قبل أن تستقلوا السيارة.

اغتسلوا ومشطوا شعورهم وجاءهم الخدم بالقهوة والسندوتشات. وتأهبوا لمواصلة السفر.

قالت لهم السيدة "**بيكر**" وهي تتطلع إلى ساعتها:

–لقد آن لي أن أترككم أيها الصحاب. فتلك هي المرحلة الأخيرة من الرحلة.

سألتها "**هيلاري**":

– أراجعة أنت إلى "**مراكش**"؟

– كيف أرجع إليها، والمفروض أني ميتة احترقت بي الطائرة التي سقطت؟ إن ورائي مهامًا أخرى في بلاد أخرى.

فقالت "**هيلاري**":

– ولكن هبي أن أحدًا التقى بك مصادفة ممن عرفوك في "**مراكش**"؟

فضحكت السيدة "**بيكر**" وقالت:

– وهل يصعب عليّ أن أتخلص من هذا المأزق؟

سأزعم بأن لي شقيقة تشبهني تمام الشبه، وهي التي احترقت في الطائرة، وبالتأكيد سيكون لديّ جواز سفر باسم آخر، وسأغير لون شعري ونبرات صوتي.

ازدادت "**هيلاري**" إعجابًا بالخطة المدبرة.

وودعت السيدة "**بيكر**" رفاق السفر، واستقلت الطائرة، وما لبثت أن علت في الجو وتوارت وراء الأفق.

*****

جاءهم أحد الخدم قائلاً:

– السيارة جاهزة أيها السادة.

كان في انتظارهم سيارتان كاديلاك، يقودهما سائقان يرتديان الزي الرسمي، واتخذت "**هيلاري**" جلستها في المقعد الأمامي، بجانب السائق الفرنسي، وكانت من حين لآخر تتحدث إليه حديثًا عابرًا عن المشاهد التي تمر بها السيارة، وسألته أخيرًا:

–تُرى، هل تطول الرحلة؟

فأجاب:

– المسافة من المطار إلى المستشفى حوالي ساعتين يا سيدتي.

وطنت الكلمات في أذنيها، ولأول مرة فطنت إلى أن "**هيلدا نيدهايم**" كانت الآن تلبس زي الممرضات.

وعادت تسأل السائق الفرنسي:

– حدثني قليلاً عن المستشفى.

أجاب :

– إنه من أروع المستشفيات في العالم، ومزود بأحدث الأجهزة العلمية، كثيرون من كبار الأطباء يزورونه من حين لآخر، ثم يرحلون وهم يثنون عليه أعظم الثناء . . الأبحاث التي تُجرى فيه لخير الإنسانية جمعاء .

فقالت "**هيلاري**" تجاريه :

– بالتأكيد . . بالتأكيد . . هذا لاشك فيه .

واستطرد السائق :

– ففيما مضى كان هؤلاء التعساء يرسلون إلى جزيرة مهجورة، فيقضون ما تبقى من حياتهم حتى يدركهم الموت . أما الآن فهم يعالجون هنا بالدواء الذي اكتشفه الدكتور "**كولوني**" ، وقد ثبت نجاحه في معظم الحالات، حتى في الحالات المستعصية المزمنة .

عجبت "**هيلاري**" لحديث السائق؛ إذ لم تكن تدري من هؤلاء الذين نعتهم بالتعساء، ولا أي داء يعانون .

توقفت بهم السيارة أمام المستشفى، واستقبلهم زنجي يرتدي ثيابًا بيضاء، فتح لهم البوابة ودعاهم إلى الدخول .

رأت "**هيلاري**" نفسها في فناء كبير، حجز معظمه بسور من القضبان والأسلاك . وراء السور كان جماعة من الناس يتمشون رائحين غادين .

واستداروا يتطلعون إلى القادمين الجدد، وعندها هتفت "**هيلاري**" وهي تشهق في رعب :

– يا إلهي . . ! إنهم مصابون بالجذام . . !

ولفرط فزعها طغت على أوصالها رعدة، كادت أن تتهاوى معها إلى الأرض مغشيًا عليها .

- 11 -

أغلقت البوابة وراء القادمين الجدد، مرسلة رنينًا حادًا، بدا في هذا السكون

الشامل وكأنه صادر من مطارق تدق السندان دقًّا عنيفًا.. وخيل إلى "**هيلاري**" أن رنين البوابة كان يحاكي صوتًا يقول: "أنتم يا من تدخلون. اطرحوا الأمل فأنتم لاتعودون"

نعم.. تلك هي النهاية.. النهاية الحقيقية. نهاية بلا رجعة. إنها الآن وحيدة وسط الأعداء، ولن تمضي دقائق معدودات حتى تواجه باكتشاف أمرها وانفضاح سرها.

دار بخلدها: "الآن انطبقت عليّ المصيدة، ولم يعد أمامي سبيل إلى الفرار".

سوف لايقع عليها بصر "**توماس بيترتون**" حتى ينطلق صارخًا: "ولكن هذه ليست هي زوجتي".

وتنتهبها العيون من كل جانب، بنظرات حانقة شزراء، جاسوسة في وسطهم! وخطر لها أن تعكس الموقف: فبدلاً من أن يصرخ "**بيترتون**" بأن هذه ليست زوجتي، ستبادره هي بمجرد أن يقع بصرها عليه: "كلا.. ليس هو زوجي".

وإذا استطاعت أن تجعل الحماس يدب في صوتها، والرعب يطل من عينيها، فسوف تنجح في إثارة الشك.. سوف يرتابون ويتساءلون: "تُرى هل "**بيترتون**" هو حقًّا "**بيترتون**"، أم عالم آخر انتحل شخصيته واندس بينهم؟ هل هو الجاسوس، أما هي فالزوجة الحقيقية؟"

ولكن أليس معنى هذا أن يصبح "**بيترتون**" هو الضحية، وأن يُقضى عليه بالهلاك؟

إن ضميرها لن يبكتها؛ ولن تندم أبدًا، فـ"**بيترتون**" خائن انحاز إليهم، وجاء إليهم يبيعهم أسرار بلاده، فهو أهل لأن يموت دون شفقة أو رحمة.

انتزعها من خواطرها اليائسة رجل عملاق الجسم وسيم الوجه، أقبل على الجماعة يستقبلهم ويحييهم واحدا بعد الآخر.

وحين مد يده يصافح "**هيلاري**" رسم على شفتيه ابتسامة باهتة مصطنعة، وقال لها:

– لاشك في أنك متلهفة إلى لقائه.

اشتد اضطرابها، وأخذتها غشية عابرة من الدوار، وشردت عيناها بنظرة تجردت من التعبير.

بادر "آندرو بيترز" يلمس ذراعيها في رفق، ويسندها وهو يقول للمضيف الذي جاء يرحب بهم:

– لعلك لاتعلم أن الطائرة سقطت بالسيدة "بيترتون"، وأنها أصيبت بارتجاج في المخ، وقد زادتها هذه الرحلة المضنية المتواصلة إرهاقًا فوق إرهاق. إنها الآن يجب أن تستريح ساعة أو ساعتين في غرفة معتمة.

استشفت "هيلاري" من صوته ومن ذراعه التي تسندها بادرة من الرحمة والإشفاق، ولكنها استجمعت شجاعتها، ورفعت رأسها وقالت:

– كلا. كلا.. يجب أن أقابل "توم".. اذهبوا بي إليه في الحال.. أريد أن أراه حالاً.

قال الرجل العملاق الوسيم:

– بالتأكيد يا سيدة "بيترتون". إني أستطيع أن أدرك حقيقة مشاعرك.

أشار إلى امرأة تقف علي قيد خطوات وهو يقول:

– دعوني أقدم إليكم الآنسة "جينسون".

وقدم إليها القادمين الجدد كل واحد بدوره، ثم قال:

– ستصحبكم الآنسة "جينسون" إلى مكتب التسجيل وتقدم إليكم شرابًا، ريثما أصحب السيدة "بيترتون" إلى زوجها، وساعود إليكم بعد برهة وجيزة.

استدار منصرفًا، وفي أعقابه "هيلاري كرافن"، وحانت منها لفتة إلى الوراء، ورأت "بيترز" يتابعها ببصره، وخيل إليها أنه يهم في تردد أن يلحق بها، ثم آثر البقاء.

وقال لها الرجل وهو يمشي بها في دهاليز طويلة ملتوية:

– إنني أدعى "بول فان هايديم".

وقالت له "هيلاري":

– إنه لأمر فظيع مرعب.. أعني هؤلاء المجذومين.

فقال:

– إنك لن تلبثي أن تألفي رؤيتهم.

توقف فجأة عند أحد الأبواب، وقرع الباب وتريث برهة ثم فتحه.

قال :

– "**بيترتون**" .. ها هي ذي هنا أخيراً.. زوجتك.

وتنحى عن الباب قليلاً ليفسح لها مكانًا للدخول.

دخلت "**هيلاري**" إلى الغرفة.. الآن لاسبيل إلى التراجع..

لاسبيل إلى التردد.. تقدمت إلى الداخل.. تقدمت إلى الأمام إلى القدر المحتوم.

كان الرجل واقفًا عند النافذة، وحين استدار إليها أدهشها أن رأته شديد الوسامة.. إن الصورة التي رأتها لـ "**توماس بيترتون**" لم تكن على مثل هذه الوسامة، بل كانت مختلفة إلى حد غير قليل.

واتتها الفكرة على الفور بسبب هذا الاختلاف، واستقرت عليها.

تقدمت إلى الأمام في خطوة سريعة، ثم ارتدت متراجعة إلى الوراء، ورن صوتها في أرجاء الغرفة بالفزع واليأس:

– ولكن هذا ليس هو "**توم**"، إنه ليس زوجي.

لقد أدت دورها بإتقان منقطع النظير، وتلاقت عيناها الحائرتان بعيني "**فان هايديم**".

وعندئذ ضحك "**توم بيترتون**".. وكانت ضحكته لطيفة هادئة، والتفت إلى "**فان هايديم**" الواقف بمدخل الباب وقال له:

– هذا رائع مادامت زوجتي نفسها لم تعرفني.

أسرع إلى "**هيلاري**" فاحتواها بين ذراعيه وضمها إلى صدره وهو يقول:

– "**أوليف**".. حبيبتي.. إنك بالتأكيد تعرفينني.. إني "**توم**" بالتأكيد، وإن لم يعد لي نفس الوجه الذي عرفتني به من قبل.

وظل يضمها إلى صدره.. وألصق فمه بأذنها وهمس:

– مثّلي دور الزوجة.. بالله عليك.. إنني في خطر.

خلى عنها ذراعيه، ثم عاد يضمها إليه مرة أخرى وهو يقول:

– آه يا حبيبتي.. كانت الأشهر التي انقضت بمثابة دهور ودهور، ولكن شكراً لله.. ها نحن أولاء أخيراً قد التقينا.

وأحست بأصابعه تنغرز في جسدها محذرة. منذرة متوسلة، ضارعة وتلقت الرسالة ووعتها.

واستطرد بصوت عال: انظري إليّ يا حبيبتي .. إنني "**توم**".. لاشك في أنك الآن عرفتني.

تلقفت "**هيلاري**" النجدة الإلهية وتشبثت بها

غمغمت:

– آه.. حبيبي "**توم**". إنك "**توم**" بالتأكيد، لاشك في أن إصابتي بالارتجاج جعلتني أفقد ذاكرتي برهة.

فقال:

– ليس هذا فقط، وإنما أيضاً جراحة التجميل.. إن الدكتور "**هيرتز**" – جراح التجميل المشهور – موجود هنا، وقد أصلح أنفي المهشم بسبب حادث السيارة.

واستدار يتطلع إلى "**فان هايديم**" فوجده يبتسم مغتبطاً.

وقالت "**هيلاري**":

– إنني آسفة يا حبيبي.. الارتجاج والرحلة الشاقة، كل هذا أثر عليّ..

فقال لها زوجها المزعوم:

– هوني عليك يا حبيبتي. بعد شيء من الراحة سيزول كل أثر للارتجاج.

وانسحب "**فان هايديم**"، وأغلق الباب وراءه.

وضمها "**بيترتون**" إلى صدره وهمس في أذنها بصوت لايكاد يسمع:

– استمري في تمثيل دورك، فقد يكون في الغرفة ميكروفون مخبأ.

وهمست بدورها وهي تسند رأسها إلى صدره:

– أو ربما ثقب خفي في الجدران يراقبوننا من خلاله.

جلسا يتناجيان، ويتبادلان القبلات من حين إلى آخر، ويستعيدان بعض الذكريات السعيدة.

وسألته:

– هل أنت سعيد هنا؟

كان سؤالاً طبيعيًا يجب أن توجهه أية زوجة إلى زوجها.

أجاب:

– الحياة هنا رائعة.

ولكن نظراته كانت تنم عن الخوف والانزعاج.

سألته:

– ولكن هؤلاء المجذومين؟ أهذه حقًّا مستعمرة للجذام؟

فضحك وقال: مجرد ستار نخفي وراءه حقيقة أبحاثنا وأهدافنا.

ثم أردف:

– والآن تعالي؛ لتلقي نظرة على الجناح المخصص لإقامتنا.

وطاف بها غرف الجناح، وهو يتأبط ذراعها وحين رجع بها سألها:

– أتحبين أن تستريحي قليلاً؟

وإذ أجابت بالنفي قال لها:

– إذن هيا بنا إلى مكتب التسجيل، إذ لاشك في أنهم الآن في انتظارك.

- 12 -

كانت المرأة التي ترأس مكتب التسجيل شبيهة بالسجّانات في صرامة وجهها وجمود قسماتها.

ورحبت بالدكتور "**بيترتون**" في كلمات وجيزة مقتضبة.

وقالت له:

– إذن فقد جاءت السيدة "**بيترتون**" أخيراً.

كان يبدو من لكنتها أنها سويسرية.

أشارت إلى "**هيلاري**" تدعوها إلى الجلوس، وفتحت درجًا تناولت منه عدة استمارات نشرتها فوق المكتب، ومضت تدون بعض البيانات.

وقال "**بيترتون**":

- إني ذاهب إلى عملي يا "**أوليف**"، فالحقي بي عندما تفرغين.

انصرف "**بيترتون**" وأوصد الباب وراءه، والتفتت رئيسة مكتب التسجيل إلى "**هيلاري**" وقالت:

- والآن اسمك بالكامل، والسن ومحل الميلاد وأسماء الأبوين. والأمراض الخطيرة.. وهواياتك المختلفة، والأعمال التي التحقت بها، ومؤهلاتك العلمية، والأطعمة التي تفضلينها، وهناك أسئلة أخرى سوف أوجهها إليك فيما بعد.

ابتسمت "**هيلاري**" في إعياء، وأخذت تجيب عن الأسئلة والمرأة ماضية في تدوينها بالاستمارات التي أمامها.

وأخذت الأسئلة تتوالى تباعًا، حتى لكأنها سيل جارف لاينتهي.

وأخيرًا رفعت المرأة رأسها وقالت:

- هذا هو ما يختص به هذا المكتب، والآن سأبعث بك إلى الدكتورة "**شوارتز**" لتفحصك من الناحية الطبية..

وتساءلت "**هيلاري**":

- وهل هذا ضروري؟

- ضروري جدًا يا سيدة "**بيترتون**"، فإننا هنا نؤمن بالكمال، ونحب أن نثبت كل شيء في السجلات.

وقامت الدكتورة "**شوارتز**" بفحص "**هيلاري**" فحصًا دقيقًا استغرق فترة قصيرة، ثم قالت لها:

- والآن عليك أن تذهبي إلى الدكتور "**روبيك**".

وسألتها "**هيلاري**":

- ومن يكون الدكتور "**روبيك**" هذا؟

- طبيب نفسي.

– ولكني لست في حاجة إلى طبيب نفسي.

فقالت الدكتورة "**شوارتز**" تهون عليها:

– لاداعي للانزعاج يا سيدة "**بيترتون**".. إن ما سيدور بينكما لايعدو اختباراً للذكاء وتحديد معالم شخصيتك.

كان الدكتور "**روبيك**" سويسريًا، في الأربعين من العمر. ورحب بـ"**هيلاري**" في لطف ودماثة، وتصفح البطاقة التي بعثت بها إليه الدكتورة "**شوارتز**"، ثم قال:

– يسعدني أن أعرف أن صحتك جيدة يا سيدة "**بيترتون**".

ثم أردف:

– لقد بلغني أنك تعرضت لحادث سقوط طائرة منذ فترة وجيزة، أليس كذلك..؟

فقالت:

– بلى، وقد أمضيت خمسة أيام في مستشفى "**كازابلانكا**".

– ولكن خمسة أيام لاتكفي إطلاقًا.. كان يجب أن يستبقوك أكثر من هذا.

فقالت "**هيلاري**":

–كنت تواقة إلى مغادرة المستشفى؛ لأواصل رحلتي.

– هذا تصرف غير سليم، فالإصابة بارتجاج المخ تحتاج إلى فترة طويلة من الراحة والاستجمام.. إنك قد تترائين سليمة في البداية، ولكن هناك احتمالاً كبيراً لآثار جانبية خطيرة. إن جهازك العصبي فيما أرى مضطرب إلى حد ما، وهذا راجع دون شك إلى مشقة الرحلة، وإلى الارتجاج في الوقت ذاته.

ثم سألها:

– هل تشعرين بصداع؟

– نعم صداع شديد جدًا.. ومن حين إلى آخر أشعر بدوار، وأفقد ذاكرتي.

– بالتأكيد. بالتأكيد.. إنني أستطيع أن أدرك هذا. والآن سأجري بعض الاختبارات؛ لأتبين مستوى عقليتك.

ومضى الدكتور "**روبيك**" يجري عليها اختباراته ويوجه إليها بعض الأسئلة،

ويدون حصيلة ذلك كله في استمارة أمامه.

وأخيراً قال:

– أرجو ألا يسوءك يا سيدتي أن أقول إنه مما يسعدني أن أفحص الآن شخصًا ليس من العلماء العباقرة.

ضحكت "**هيلاري**" وقالت:

– وما الذي يسوءني من هذا وأنا أعلم أني لست بالعبقرية أو النابغة؟

فقال الدكتور "**روبيك**" :

– وهذا من حسن حظك يا سيدتي؛ فإن حياة العباقرة جحيم لايطاق.

واستطرد:

– إنني هنا لاأتعامل إلا مع قوم مفرطي الذكاء، وهؤلاء معرضون دائمًا للاختلال العصبي تحت وطأة الضغط الذي يعانونه. فالعالم يا سيدتي ليس باردًا هادئًا كما يبدو في الظاهر. فإن انهماكه في عمله يجعل أعصابه مرهفة إلى أقصى حد. ولافرق في هذا إطلاقًا بين الممثلة الأولى، أو بطل التنس، أو عالم الذرة.

وقالت "**هيلاري**" مؤمنة:

– صدقت، فقد خبرت هذا بنفسي.

إذ كان المفروض أنها عاشرت "**بيترتون**" فترة طويلة باعتبارها زوجته؛ وهو دون شك من العلماء العباقرة. وكأنما أراد أن يقتضب الحديث، فمد إليها يده فجأة يصافحها وهو يقول:

– والآن ستذهبين إلى الآنسة "**لاروش**" ؛ لتمضي بك إلى قسم الملبوسات؛ لتختاري ما يروقك من الثياب.

كانت النساء اللائي التقت بهن "**هيلاري**" جميعًا حتى تلك اللحظة، يعملن كأنهن آلات ميكانيكية، ذكرتها بالإنسان الآلي "**روبوت**" . أما الآنسة "**لاروش**" فكانت على العكس مرحة متدفقة بالحيوية، ارتاحت "**هيلاري**" إلى لقائها.

قالت لها الفتاة:

– إنني سعيدة بأن أتعرف إليك يا سيدتي، وأرجو أن أوفق في تقديم كل

مساعدة ممكنة.

ثم استطردت:

- بما أنك وصلت الآن لتوك، فلاشك في أنك مازلت متعبة؛ ولذلك أشير عليك بأن تكتفي الآن بانتقاء بعض الثياب الداخلية الضرورية وفستان واحد، وغداً وفي خلال الأيام التالية يمكنك أن تلقي نظرة على ما لدي من ثياب ومن مستحضرات التجميل.

فقالت "**هيلاري**" معقبة:

- كل ما أرجوه من دنياي أن أتملك مشطًا وفرشاة.

ضحكت الآنسة "**لاروش**" في مرح، ومضت تدون مقاسات عميلتها في مفكرة لديها، ثم قالت:

- سأبعث على الفور إلى جناحك بكل ما وقع عليه اختيارك، وإنه ليسعدني أن ترددي على المتجر من حين لآخر؛ فقد تبينت أن لك ذوقًا رفيعًا في الاختيار. أما هؤلاء السيدات "العالمات" فقد ضقت بهن ذرعًا، خاصة وأنهن لايبدين أي اهتمام بمستحضرات التجميل.

ثم استطردت:

- منذ نصف ساعة كان لدي هنا واحدة منهن، أثارت أعصابي.. إحدى رفيقاتك في السفر.

فقالت "**هيلاري**":

- لعلك تعنين "**هيلدا نيدهايم**"؟

- تمامًا.. هذا هو اسمها.. إنها ألمانية بالتأكيد، والألمانيات عادة لايحفلن بالتجميل، مع أنها يمكن أن تبدو جميلة لو أنها أبدت بعض الاهتمام بنفسها. إنها دكتورة فيما فهمت، ولكن الرجل لايبحث عن المؤهلات العلمية، وإنما عن لمسة من الجمال والأنوثة.

آه.. وها هي ذي أخرى لايتأتى لرجل أن يتطلع إليها أبداً.

فقد بدت الآنسة "**جينسون**" في مدخل الغرفة، وفوق عينيها نظارتها الصغيرة

العتيقة الطراز.

وقالت الآنسة "**جينسون**":

– إذا كنت قد فرغت يا سيدة "**بيترتون**"، فسأصحبك لمقابلة نائب المدير الدكتور "**نيلسون**":

قالت "**هيلاري**" في نفسها: "كل من هنا يحمل لقب دكتور– عداي أنا".

ثم رفعت صوتها متسائلة:

– وما هو تخصص الدكتور "**نيلسون**"؟

– إنه ليس طبيبًا، فهو حاصل على الدكتوراة في فن الإدارة، ومن عادته أن يقابل كل وافد جديد ليتحدث إليه، ولكنك لن تقابليه بعد هذا إلا إذا ثارت مشكلة مهمة.

*****

نهض الدكتور "**نيلسون**" من وراء مكتبه يحييها ويشد على يدها في حرارة.

– يسعدني أن أراك بيننا يا سيدة "**بيترتون**". دعيني أهنئك بالنجاة من هذا الحادث المؤسف الذي وقع لطائرتك.

وشكرته "**هيلاري**" على لطفه واستطرد يقول:

– إني على استعداد لأن أجيب عن أي سؤال يخطر بذهنك، فهل لديك ما تحبين أن تستفسري عنه؟

فبدت أمارات الحيرة على وجه "**هيلاري**" وقالت:

– الحق أني لاأدري، ولكن لعل كل ما يعنيني أن أستفسر عنه هو أن أعرف أين أنا الآن.

ابتسم الدكتور "**نيلسون**" وأجاب:

– إني أدرك ما يجول في ذهنك.. إنكم تعتقدون جميعًا للوهلة الأولى؛ لفرط ما سمعتم من مفتريات أنكم ذاهبون إلى "**موسكو**"– وراء الستار الحديدي. ولكن لا يا سيدتي. إنك الآن في "**إفريقيا**".. في قلب الصحراء المراكشية، ومستعمرة

الجذام التي تعيشين الآن بين أسوارها هي بمثابة الستار الحديدي؛ لأنها ترد عن علمائنا المتطفلين الذين يحاولون أن يكتشفوا مقرهم.

قالت "**هيلاري**":

– صدقت.. فقد تصورت في البداية أننا مسافرون إلى "**موسكو**".

استطرد الدكتور "**نيلسون**":

– إنك ستعيشين هنا في عزلة تامة عن العالم، ولكن وسائل الترفيه والتسلية متوافرة.. إن لزوجك عمله الذي قد يشغله عنك، فقد ينكب على العمل ليل نهار، ولايفرغ لك إلا نادراً، ولكن يمكنك أن تشغلي نفسك بقضاء الوقت مع زوجات العلماء، وسوف تجدينهن لطيفات ذوات ود.

سألته "**هيلاري**" في شيء من الإحجام:

– ولكن هل يسمح لنا بالخروج؟

فتطلع إليها وقال متردداً:

– الخروج يا سيدة "**بيترتون**"؟

وقال في رقة:

– سؤال طبيعي لابد أن يصدر عن كل وافد جديد.. لكن المبدأ الأساسي الذي تدين به منظمتنا هو أننا هنا في دنيا قائمة بذاتها، فلا شيء يدعونا إلى أن نتجاوز حدودها ونذهب إلى خارجها.. إنها دنيا كاملة ذات اكتفاء ذاتي شامل.

- 13 -

قالت "**هيلاري**" وقد رجعت إلى جناحها:

– إن الحياة هنا شبيهة بجو المدارس.

فقال "**بيترتون**":

– هذا هو ما يحسه المرء في البداية، أنا نفسي داخلني هذا الشعور حين جئت.

كان الحديث بينهما يدور في تحفظ وحذر؛ خشية أن يكون هناك ميكروفون مدسوس بين الأثاث أو في الجدران.

ثم أردف:

– وهذا ما يرتد بنا إلى عهد الطفولة السعيدة.

وغمز بعينه، فلم يغب عنها النذير المقصود.

وبدا لها الأمر كله عجبًا.

ها هي ذي في قلب الصحراء، تشارك رجلاً غريبًا مخدعه وتشاطره فراشه، ومع ذلك فإن في التوجس والقلق والخطر المسيطر عليهما ما جعل الرابطة التي بينهما مفككة منفصمة.

عادت "**هيلاري**" إلى الحديث فقالت:

– لقد أجروا عليّ عدة فحوص طبية ونفسية.

– هذا هو ما يفعلونه دائمًا مع الوافدين الجدد.

– وهل فحصت أنت أيضًا؟

فأجاب:

– هذا أمر طبيعي.

واستطردت:

– وبعد هذا قابلت الدكتور "**نيلسون**" نائب المدير، فتبادلنا الحديث برهة قصيرة.

– إنه إداري حازم قدير.

– ولكنني لم أقابل المدير بعد.

– أحسب أنك لن تقابليه أبدًا، وإن كان من حين لآخر يلقي علينا بعض المحاضرات. وهو رجل ذو شخصية جذابة.

قطب "**بيترتون**" جبينه، وأدركت "**هيلاري**" أنه يريد أن يثنيها عن مواصلة هذا الحديث. فما كان منها إلا أن لاذت بالصمت.

قال لها "**بيترتون**":

– إنهم يتناولون العشاء هنا ابتداء من الثامنة مساء، فيحسن بنا يا عزيزتي أن نتأهب للنزول.

أبدلت "**هيلاري**" ثيابها، وارتدت الفستان الذي جاءت به من قسم الملابس،

وتحلت بقلادة من اللآلئ المقلدة.

هبطا معًا إلى قاعة الطعام، وخفت الآنسة "**جينسون**" إلى استقبالهما قائلة:

- لقد أعددت لكما مائدة كبيرة، يشارككما فيها بعض رفاق زوجتك في السفر، فضلاً عن الدكتور "**مارشيسون**" وزوجته.

أرشدتهما إلى المائدة المقصودة، وكان "**آندرو بيترز**" و"**إيريكسون**" قد سبقا إليها وانتظما حولها، وقدمت "**هيلاري**" زوجها إلى الرجلين. ولم يلبث الدكتور "**مارشيسون**" وزوجته أن لحقا بهم، وقدمهما "**بيترتون**" إلى الآخرين وهو يقول:

- "**سيمون**" وأنا نشتغل معًا في معمل واحد.

كان "**سيمون مارشيسون**" شابًا نحيفًا في السادسة والعشرين، ذا وجه باهت اللون. أما زوجته "**بيانكا**" فكانت ممتلئة الجسم إلى حد ما، وفي حديثها «لكنة» أجنبية واضحة.

رحبت "**بيانكا**" بـ "**هيلاري**" في لهجة مهذبة، ولكن في شيء من التحفظ، ثم قالت متسائلة:

- إنك لست عالمة فيما أعتقد.

- كلا.. إني لم أتلق تدريبًا علميًّا، فقد كنت أعمل سكرتيرة قبل زواجي.

وقال الدكتور "**مارشيسون**":

- لقد درست زوجتي الاقتصاد والقانون التجاري، وهي تلقي علينا بعض المحاضرات من حين لآخر، وإن كانت لا تجد إلا نفرًا قليلاً يؤم محاضراتها.

فهزت "**بيانكا**" كتفيها في استخفاف وقالت:

- لقد استطعت على أية حال أن ألتمس هنا ما أشغل به وقتي. فقد بدأت أدرس أحوال مجتمعنا هذا؛ حتى أعمل على تطويره وتحسينه. وما دامت السيدة "**بيترتون**" غير قائمة ببحث علمي، فإن في وسعها أن تساعدني في مهمتي.

وسارعت "**هيلاري**" ترحب بالاقتراح.

وأضحكهم "**آندرو**" بأن قال:

- أرجو أن يعهدوا إليّ بالعمل على الفور، وإلا انقلبت تلميذاً أمضي وقتي في لعب البلي.

قال "**سيمون مارشيسون**" في حماس:

- هذا مكان رائع للبحث العلمي، فكل الأجهزة متوافرة، ولا أحد يقحم نفسه أو يقطع عليك عملك.

سأله "**بيترز**":

- ما تخصصك يا دكتور؟

أخذ الرجلان يتداولان حديثًا علميًّا بحتًا، فتحولت "**هيلاري**" إلى "**إيريكسون**" الذي كان متراخيًا في مقعده بعينين شاردتين وسألته:

- وأنت؟ أتراك أيضًا تحس حنينًا إلى الوطن.

فتأملها بنظرة شاردة وقال:

- إني رجل لا أؤمن بمثل هذه الترهات الفارغة: الوطن. روابط الأسرة والطفل.. مشاعر المحبة والوفاء- كل هذا هراء.. إن المرء لكي يعمل يجب أن يكون حرًّا طليقًا، لايشده أي نوع من القيود.

سألته:

- أو تشعر بأنك هنا ستكون حرًّا طليقًا؟

- هذا ما أرجوه، وإن كنت لاأدري الحقيقة حتى الآن.

مالت "**بيانكا**" إلى "**هيلاري**" وهي تقول:

- بعد العشاء لدينا الكثير مما نشغل به وقتنا.

غرفة لعبة البريدج مثلاً والعاب الورق الأخرى.. قاعة السينما تعرض أفلامًا حديثة.. وقاعة التمثيل تعمل ثلاثة أيام كل أسبوع، وكذلك سهرات راقصة من حين لآخر.

قطب "**إيريكسون**" جبينه وقال:

- كل هذا لغو لاجدوى من ورائه.. إنه يصرف الباحث عن عمله ويبدد نشاطه.

فقالت "**بيانكا**" :

– ولكن هذا الذي تسميه لغواً ضروري لنا معشر النساء.

فتطلع إليها بنظرة باردة كأنما يقول: "وحتى أنتن معشر النساء لاضرورة لكن" ..

تعمدت "**هيلاري**" أن تتثاءب وقالت:

– أما أنا فسآوي الليلة إلى فراشي مبكرة؛ إذ مازلت متعبة مرهقة.

فقالت لها "**بيانكا**" :

– إنك على حق يا عزيزتي. فقد كابدت الأهوال فضلاً عن هذه الرحلة المضنية.

قال "**بيترتون**" وهم يزايلون المائدة:

– الجو الليلة منعش لطيف، وقد اعتدنا أن نقضي بعض الوقت في حديقة السطح قبل أن نمضي إلى العمل أو النوم، فلم لاتصحبيننا يا عزيزتي "**أوليف**" ؟

كانت حديقة السطح تحفة فنية رائعة.. كانت بستانا حافلاً بأجمل أنواع الأزهار وأندرها، تتوسطها نافورة صغيرة يتدفق منها الماء رشاشًا متناثرًا تنعكس عليه أضواء ملونة خلابة.

قالت "**هيلاري**" في افتتان:

– إني لاأصدق ما تراه عيناي. أيقوم هذا في قلب صحراء قاحلة مجدبة؟ لكأني أعيش في قصة من ليالي ألف ليلة!

فقالت "**مارشيسون**" :

– صدقت يا سيدة "**بيترتون**"، ولكن مادام الماء غزيراً والمال متوافراً، فلا شيء مستحيل.

فتساءلت:

– ولكن من أين لكم بهذا الماء الغزير؟

– من نبع عميق حفرناه في الجبل بأحدث الأساليب العلمية.

وأخذوا يتمشون في حديقة السطح قليلاً، ويتسامرون بالحديث. ثم انسحبوا واحداً بعد الآخر، ولم يبق أخيراً إلا "**توماس بيترتون**" وزوجته "**هيلاري كرافن**" . أخذ بيدها وأجلسها على إحدى الأرائك المتناثرة في أرجاء الحديقة، ووقف في

مواجهتها، وحدجها بنظرة متسائلة وقال:

- والآن.. من أنت بحق السماء؟

رفعت وجهها تتطلع إليه برهة دون أن تجيب، وبدلاً من أن ترد على سؤاله قالت تسأله:

- لماذا كذبت فزعمت أني زوجتك؟

تبادلا نظرات صامتة.. وأخيراً قال "**بيترتون**":

- مجرد نزوة طارئة.. لقد خطر لي أنك ربما جئت لكي تخرجيني من هنا.

يا إلهي! هذا سؤال توجهينه إليّ؟ إن الإجابة واضحة معروفة.

فعادت تسأله:

- ولكن كيف جئت إلى هنا؟

- إذا كنت تقصدين أني اختطفت، أو أن شيئًا من هذا القبيل قد حدث، فانزعي هذه الفكرة من رأسك.. لقد أتيت إلى هنا من تلقاء نفسي وبمحض إرادتي، وكنت ممتلئًا حماسة.

- وهل كنت تعرف أنك قادم إلى هذا المكان؟

- لا.. لم يخطر لي قط أنني آت إلى "**إفريقيا**"، ولم أحاول قط أن أسأل.. لقد احتواني البريق الخداع، وأخذتني الكلمات الحماسية: السلام العالمي... الحرية المطلقة.. اقتسام الأسرار العلمية بين دول العالم جمعاء.. القضاء على الرأسماليين وتجار الحروب- نعم.. كل هذه الترهات الخرافية.

وأردف:

- وصاحبنا "**بيترز**" الذي صحبك في رحلتك.. إنه هو أيضًا ابتلع الطعم.

- وما الذي اكتشفته بعد أن وصلت..؟

- سوف ترين بنفسك، ولكن يكفي أن أقول لك: إن الحرية التي حلمنا بها لاوجود لها هنا.

وجلس إلى جانبها على الأريكة مقطب الجبين ثم قال:

- ونفس الوضع هو الذي أثارني في "**إنجلترا**" وجعلني أكره البقاء فيها.

إجراءات الأمن الصارمة.. التجسس على حركاتي وسكناتي.. تعقب خطواتي ومحاسبتي على كل كلمة أتفوه بها، كل هذا حطم أعصابي.

واستطرد بنفس النبرة اليائسة المكتئبة:

– ثم جئت هنا، فإذا الفردوس الموعود مجرد سراب. لقد عانيت نفس الأوضاع، بل أشد هولاً.

وتابع الحديث:

– أحدث الأجهزة العلمية رهن إشارتنا، والمال متوافر لإجراء الأبحاث التي نجريها، ولكني مع هذا لاأملك إلا أن أشعر بأني في سجن تحف به الأسوار والقضبان.

ران عليهما الصمت، ثم استدار إليها متسائلاً:

– والآن فلنعد إلى ما كنا فيه.. ما الذي جعلك تحضرين إلى هنا وتزعمين أنك "**أوليف**"؟

قالت "**أوليف**":

– ثم أمسكت تلتمس الكلمات الملائمة، لكي تجيب عن السؤال.

عاد يتساءل:

– ولكن أين "**أوليف**"؟ ما الذي جرى لها؟

ناورت، وتحايلت على الكلمات، ثم اضطرت أخيراً إلى أن تجيب.

حملق إليها شارداً ثم قال:

– إذن فـ "**أوليف**" ماتت.

غرق في صمت طويل، ثم رفع رأسه أخيراً وقال:

– "**أوليف**" ماتت وحللت أنت مكانها.. ولكن لماذا؟

كان الجواب حاضراً في ذهنها.. لم تكن "**هيلاري كرافن**" حتى هذه اللحظة مطمئنة تماماً إلى "**بيترتون**"، وكانت تراه مزعزع الأعصاب وقد أوشك أن ينهار، فمن دواعي الحكمة أن تحجب دونه أسرارها.

لقد قال لها في بداية الحديث إنه حسبها جاءت لكي تنقذه وتخرجه من هنا،

فلِم لاتجاريه فيما اعتقد؟

إن من الحماقة أن تصارحه بأنها مجرد جاسوسة أوفدها "**جيسوب**"؛ لتوافيه بما تقع عليه من معلومات.

قالت تجيب عن سؤاله:

– كنت مع زوجتك في المستشفى حين ماتت، فتطوعت لأداء هذه المهمة، وقررت أن أنتحل شخصيتها واسمها، خاصة وأن قوامي يشبه قوامها، وشعري الأحمر في لون شعرها.

فقال:

– حقًّا فإن لك نفس الشعر الأحمر النحاسي!

ثم أردف:

– ولكن ما الرسالة التي أرادت "**أوليف**" أن تبلغها إليّ؟

فسألته:

– أتعرف شخصًا يدعى "**بوريس**"؟

– نعم.. "**بوريس جلايدر**".. إنني لم أقابله مطلقًا، ولكنه ابن عمة زوجتي السابقة.

– لقد أرادت "**أوليف**" أن تكون منه على حذر قالت إنه خطر.

– خطر؟ ولماذا يكون خطرًا عليّ؟ هذا عجيب.. أتراه قابل "**أوليف**"؟

فقالت:

– إنها لم تقابله، ولكنها تلقت رسالة منه.

فقال:

– وما الذي قاله لها؟

– هذا ما لا علم لي به، ولكنها أضافت عبارة أخرى. قالت: "تذهبين... تذهبين... اذهبي وحدثيه عن "**بوريس**".. إنني لا أصدق هذا.. لا أستطيع أن أصدق.. ولكن ربما كان صحيحًا.. وإذا كان فعليه أن.. أن يكون على حذر".

وكانت هذه آخر كلمة نطقت بها، ثم لفظت أنفاسها الأخيرة.

- "**بوريس**" . . ! ولكن لماذا . . ؟ لماذا . . ؟ هذا ما لا أستطيع أن أتبينه .

لاذ بالصمت برهة ثم عاد يقول :

- يا إلهي ! لقد قضي عليّ بأن أبقى هنا إلى الأبد . . وراء القضبان .

فقالت "**هيلاري**" بصوت مليء بالثقة والإيمان :

- بل لابد أن نخرج من هنا .

- ولكن كيف . . ؟ كيف ؟ إن هذا لمستحيل .

فقالت :

- لامستحيل في الدنيا . . سوف نجد وسيلة .

لم تكن "**هيلاري**" مؤمنة بما تقول، ولكنها أرادت أن تبث في نفسه الشجاعة والأمل؛ حتى لاتنهار أعصابه .

واستطردت :

- لاداعي لليأس . . هناك سجون ومعتقلات حصينة، استطاع من فيها أن يهربوا منها بوسيلة ما . . بحفر نفق مثلاً . . كل ما هنالك أن الأمر يحتاج إلى التأني وإلى الوقت .

فردد في يأس :

- ومن أين لي الوقت؟ ألا تعرفين ما يحدث هنا؟ إنهم يريدون من العالم الذي يأتون به هنا أن ينتج شيئًا . . يريدون منه أن يبحث وأن يخرج عليهم باكتشاف عبقري، أما إن عجز فهل تدرين مصيره؟

فقالت :

- يعيدونه إلى بلاده دون شك؟

فأجاب :

- بل يتخلصون منه . . يقتلونه !

- يقتلونه؟ إني لاأصدق هذا .

- بل تلك هي الحقيقة؛ لأنه لم يعد ذا نفع لهم، بل أصبح عبئًا عليهم .

واستطرد :

– وقد أصبحت أنا هذا العبء المكروه، فإن شعوري بأنني سجين هنا شل تفكيري ولم أعد قادراً على موالاة البحث، فلم أنتج شيئًا مذ حضرت. وقد ظنوا أن ابتعادي عن زوجتي هو الذي جمد عبقريتي؛ ولذلك أرسلوا يستدعونها. والآن وقد حضرت أنت باعتبارك زوجتي، فإنهم لن يصبروا عليّ أكثر من هذا. فإما أن أنتج، وإما أن أقتل.

أخذت "هيلاري" بذراعه وهي تقول:

– والآن فلنعد إلى جناحنا، فقد تأخر بنا الوقت.

ثم أردفت:

– نم مطمئنًا فسوف نجد وسيلة للفرار. نعم، حتمًا سوف نهرب..!

- 14 -

في فندق "المأمون" في "مراكش" كانت الآنسة "هيذرنجتون" مجتمعة برجلين، أحدهما "جيسوب"، والآخر فرنسي تشع عيناه ذكاء.

ولكن "هيذرنجتون" هذه لم تكن تلك التي رأيناها من قبل تتعرف إلي "هيلاري" في "كازابلانكا" و"فزان"، وتمضي معها معظم الوقت.

كان لها حقًّا نفس القوام، ونفس الملامح، ونفس هيئة الشعر وتنسيقه.

ولكن "هيذرنجتون" هذه كانت تبدو أصغر سنًّا وأكثر حيوية، فقد كانت عند لقائها بـ"هيلاري" تخفي سماتها الحقيقية.

وقال لها "جيسوب" مستطرداً في الحديث:

– إذن فهؤلاء هم الوحيدون الذين اتصلوا بها في "فزان"؟

فقالت:

– كان هناك أيضًا هذه المرأة المدعوة "كالفين بيكر". التي تعرفت إليّ و إلى "أوليف بيترتون"، وقد حيرني أمرها كثيراً، فقد بدا لي أنها أقحمت نفسها على السيدة "بيترتون"، بيد أنها أمريكية الجنسية، ومن عادة الأمريكيين أن يتوددوا ويتحدثوا إلى كل إنسان على غير سابق معرفة.

وعقب "جيسوب" :

ـ هذا صحيح.

فقالت "جانيت هيذرنجتون" :

ـ ولكن الغريب الذي يسترعي النظر أنها استقلت نفس الطائرة.

فتساءل "جيسوب" :

ـ أتريدين أن تقولي إن سقوط الطائرة كان حادثًا مدبرًا؟

ثم التفت إلى الرجل الفرنسي وسأله :

ـ ما رأيك في هذا يا "ليبلان" ؟

فأجاب الفرنسي :

ـ هذا محتمل، وإن كان من المستحيل أن نقيم الدليل على هذا، فقد احترقت واحترق كل من فيها.

ـ وما رأيك في الطيار؟

ـ الكادي؟ إنه طيار مغامر مرن الضمير، ولايسعى إلا وراء المال، ولا يؤمن بشيء من المعتقدات السياسية، بل لاشأن له بالسياسة على الإطلاق.

ـ إذن فلا يمكن أن يكون قد قام بتخريب الطائرة، لكي ينتحر ويضحي بنفسه.

فقال "ليبلان" :

ـ عثرنا بين حطام الطائرة على سبع جثث محترقة متفحمة اختفت معالمها!

وعادت الآنسة "هيذرنجتون" إلى متابعة حديثها.

قالت :

ـ وقد تبادلت السيدة "بيترتون" بضع كلمات مع أسرة فرنسية كانت تنزل مع أطفالها في نفس الفندق، وكان في الفندق أيضًا سويدي من الأثرياء مع إحدى نجوم السينما، وكذلك السيد "أريستيد" المليونير اليوناني صاحب آبار البترول.

فقال "ليبلان" :

ـ هذا الرجل عجيب الشأن، فعلى الرغم من ملايينه التي لا تحصى، فهو عزوف عن النساء، ولايلعب الميسر، وليس لديه جياد للسباق، وإنما يحبس نفسه في قصره في

"**إسبانيا**" ، لايبرحه إلا نادراً، وليس له من هواية إلا جمع التحف الصينية.

واستطردت "**جانيت هيذرنجتون**" :

– وفيما أعلم لم تتبادل السيدة "**بيترتون**" حديثًا لا مع الثري السويدي ولا مع المليونير اليوناني.

فسألها "**جيسوب**" :

– والخدم والجرسونات؟

– هذا محتمل دائماً.. وقد زارت المدينة القديمة مع أحد الأدلاء، وبمجرد عودتها قررت أن تسافر إلى "**مراكش**" ، فمن المحتمل أن يكون أحد قد اتصل بها في أثناء زيارتها للمدينة القديمة.

قال "**جيسوب**" :

– وكذلك قررت السيدة "**كالفين بيكر**" فجأة أن تصحبها في رحلتها إلى "**مراكش**" .. ألا يبدو هذا أمراً غريباً، وهي التي كانت في "**مراكش**" منذ فترة وجيزة..؟

ومضى "**جيسوب**" يذرع الغرفة وهو غارق في التفكير، ثم قال:

– كلما تمعنت في الأمر ازددت اقتناعاً بأن سقوط الطائرة كان حادثًا مدبراً.

فقال "**ليبلان**" :

– من السهل جداً الهبوط بالطائرة إلى الأرض وإحراقها عمداً، ثم الادعاء بعد ذلك بأنها سقطت واحترقت. ولكن كيف نعلل وجود الجثث بين الحطام؟ هل يمكن أن يرضى ركابها بأن يقبعوا في داخلها ساكنين حتى يحترقوا؟

قال "**جيسوب**" :

– فلنلق نظرة أخرى على قائمة الركاب.

تناول "**ليبلان**"ورقة مطوية من جيبه، ونشرها أمامه. وانكب عليها الرجلان يتصفحانها.

– السيدة "**كالفين بيكر**" ، أمريكية. السيدة "**بيترتون**" . إنجليزية.. "**توركيل إيريكسون**" ، نرويجي في السابعة والعشرين، وإني أذكر اسمه فقد سبق له أن ألقى

بعض المحاضرات في الجمعية الملكية.

استطرد "**ليبلان**":

– وبعد ذلك راهبة ألمانية، ثم "**آندرو بيترز**" الأمريكي الجنسية، والدكتور "**بارون**" أشهر علماء الجراثيم في العالم.

فقال "**جيسوب**" معقبًا:

– محال أن يكونوا قد ضحوا بهؤلاء الأفذاذ عمداً..

لابد أن في الأمر سرًّا، ولكن المشكلة هي تلك الجثث التي وجدت محترقة بين الحطام.

رن جرس التليفون وتناول "**ليبلان**" السماعة، وأنصت برهة إلى محدثه، ثم قال وقد أشرق وجهه وتالقت عيناه:

– حسنًا.. حسنًا جدًّا.. ابعث بهم إليّ في الحال.

ثم تحول إلى "**جيسوب**" قائلاً:

– يبدو يا عزيزي أنك على صواب فيما ذهبت إليه.

لقد أمرت رجالي بأن ينتشروا في كل مكان يبحثون ويتحرون، وقد عادوا إليّ بمعلومات مهمة جدًّا.

فتساءل "**جيسوب**":

– حقًّا؟ وما الذي جاءوا به؟

– مهلاً.. مهلاً. وسوف ترى.

فتح الباب بعد لحظات، ودخل رجلان يرتدي أحدهما الزي الأوربي، وكانت ثيابه معفرة دلالة على أنه قادم لتوه من السفر. وكان برفقته رجل آخر يرتدي العباءة المراكشية الفضفاضة.

قال الأوربي:

– لقد قمنا بتحريات واسعة، ووعدنا من يدلي إلينا بأية معلومات بمكافأة جزيلة. وقد انتشر صاحبنا هذا (وأشار إلى الرجل العربي) وأفراد أسرته وأصدقاؤه في كل مكان يسألون ويستفسرون.

وقد رأيت أن آتي به معي؛ لتسمع منه بنفسك ما لديه من معلومات.

والتفت "**ليبلان**" إلى العربي قائلاً:

– إن لك فيما أرى يا صاح عينيْ صقر تستطيع أن تريا كل شيء، ولايمكن أن يفوتهما شيء. فهيا هات ما عندك.

أخرج الرجل من طيات عباءته لؤلؤة كبيرة يضرب لونها إلى القرمزي وقال:

– إنها شبيهة تمامًا باللؤلؤة التي عرضتموها عليّ وعلى رجالي.. لقد عثرنا عليها.

تناولها منه "**جيسوب**"، وقارنها بلؤلؤة أخرى أخرجها من جيبه، فكانتا متماثلتين تمامًا، ثم أخذ عدسة مكبرة وفحص اللؤلؤتين بدقة.

وغمغم يقول:

– نعم، إن العلامة ظاهرة.. إنها فتاة رائعة.. رائعة..! لقد نفذت تعليماتي. يا لها من فتاة..!

وفي خلال ذلك كان "**ليبلان**" منهمكًا في استجواب الرجل العربي، فلما فرغ منه تحول إلى "**جيسوب**" قائلاً:

– هذه اللؤلؤة يا زميلي العزيز وجدت على مسافة نصف ميل من حطام الطائرة، وجثتها ليست قطعًا إحدى الجثث السبع المتفحمة التي وجدت بين الحطام.

قال "**ليبلان**" وهو يتصفح قائمة ركاب الطائرة مرة أخرى:

– "**أوليف بيترتون**" والدكتور "**بارون**".. هذان الاثنان على الأقل ذاهبان حتمًا إلى حيث يراد لهما أن يذهبا، أما الأمريكية "**كالفين بيكر**" فيمكننا أن نخرجها من حسابنا. و"**توركيل إيريكسون**" له أبحاث عرضت على الجمعية الملكية العلمية، والأمريكي "**بيترز**" باحث كيماوي طبقًا لما ورد في جواز سفره، والراهبة الألمانية "**هيلدا**" يمكن أن تكون عالمة متنكرة في هذا الزي.. الواقع أن الجماعة كلها من الإخصائيين، فهل جمعوهم معًا في طائرة واحدة لكي يحرقوها ويقضوا عليهم؟

هذا بالتأكيد فرض مستبعد.. أخرجوهم بالتأكيد من الطائرة، ثم أحرقوها، فمن أين جاءوا بالجثث التي وجدت متفحمة بين الحطام؟

فقال "**جيسوب**" :

– فلنطرح هذا البحث الآن جانبًا، فهو ليس بذي أهمية.. المهم أننا عرفنا أن ركاب الطائرة لم يحترقوا معها، وإنما بدأوا رحلة جديدة من حيث عثرنا على الحطام– فما الخطوة التالية؟ هل نزور موقع الحادث؟

وبدأت حملة بحث دقيقة على طول الطريق، أسئلة في كل خان.. وأسئلة في كل محطة بنزين.. وأسئلة في مختلف القرى.

وأخيراً أسفر البحث عن شيء.

قال "**ليبلان**" :

– انظر يا صديقي.. لقد فتشوا المراحيض كما أمرت، فعثروا على هذه اللؤلؤة في خان "**عبد الله**" ملصقة بالجدار بقطعة من اللبان. وقد استجوبناه وأفراد أسرته فانكروا كل شيء في البداية ثم اعترفوا..قالوا إن ستة أشخاص في سيارة رحلات نزلوا بالخان، وذكروا أنهم بعثة ألمانية للبحث والتنقيب عن الآثار، وطلبوا منهم أن يتكتموا لأنهم يقومون بالعمل خفية دون تصريح من الحكومة، ونقدوهم من المال قدراً كبيراً. وفي قرية "**ألكيف**" عثر بعض الغلمان على لؤلؤتين أخريين، وبذلك عرفنا اتجاه السيارة.

وفي الصباح التالي جاء رجال "**ليبلان**" باكتشاف جديد.

لقد عثر العرب على ثلاث لآلئ صفت على شكل مثلث، وملصقة فوق قطعة من اللبان.

وقال "**جيسوب**" :

– اللآلئ المثلثة الشكل معناها ان الطائرة هي وسيلة الانتقال في المرحلة القادمة من الرحلة.

فقال "**ليبلان**" :

– إنك على صواب يا صديقي، فقد عثروا على هذه اللآلئ في مطار حربي مهجور كان يستعمل خلال الحرب.

ثم أردف :

– والآن فتلك هي المشكلة بل أعقد المشاكل:طائرة مجهولة تتجه إلى مكان

مجهول.

تنهد قائلاً:

– وعند هذا تتوقف أبحاثنا، ويضيع منا الأثر.

- 15 -

أقبلت الآنسة "**جينسون**" بعينيها الذابلتين تتألقان تحت نظارتها العتيقة الطراز، ذات الزجاج السميك، وقالت تخاطب "**هيلاري**":

– لدينا اجتماع هذا المساء، سيخطب فيه المدير نفسه.

فقال "**بيترز**" معقبًا:

– حسنًا.. فقد كنت أتمنى أن ألقي نظرة على هذا المدير الخفي.

فرمته الآنسة "**جينسون**" بنظرة لوم وعتاب، ثم استدارت منصرفة.

وقال "**بيترز**":

– يبدو لي أنها والهة في حبه كما كانوا يتفانون في حب "**هتلر**".

فقالت "**هيلاري**":

– وهذا ما تراءى لي.. إنها فاشيستية متحمسة.

قال "**بيترز**"مستطرداً:

– حين غادرت "**الولايات المتحدة**"كنت ممتلئًا حماسًا وشبابًا، أتوق إلى دنيا تسودها الأخوة والسلام، ولكن لو أني توقعت أني سألقي بنفسي بين براثن هذا الديكتاتور لما بارحت وطني.

فهتفت "**هيلاري**" وقد تضرج وجهها احمراراً:

– لكم يسعدني أن أسمعك تقول هذا!! وكم أسعدني أن التقيت بك هنا، فأنت رجل ظريف ومرح.

فقال ضاحكًا:

– يبدو لي أنك ضقت بمعاشرة العباقرة.

فأجابت:

– هذا صحيح، ثم إنك تغيرت كثيراً في الأيام الأخيرة: فزايلك شعور الكراهية والمرارة.

– إنك مخطئة في هذا.. فهنا في أعماقي.. لايزال الحقد كامناً يتأجج ويتلظى.. نعم يا "**أوليف**".. هناك أشياء يجب أن يكرهها الإنسان.

*****

بعد العشاء انعقد الاجتماع الذي أشارت إليه الآنسة "**جينسون**" في قاعة المحاضرات، وحضره جميع أعضاء البحث العلمي من علماء ومساعدين وكيميائيين وغيرهم.

اتخذت "**هيلاري**" مجلسها بجانب "زوجها" المزعوم "**بيترتون**"، وهي أشد ما تكون لهفة إلى مشاهدة الرجل الذي يدير هذا المركز ويفرض عليه قيوده وأغلاله.

لقد سألت عنه زوجها، فكانت إجابته متسمة بالغموض.

قال:

– لقد رأيته مرتين فقط. وهو رجل عظيم ذو شخصية طاغية جبارة، يستحوذ على عقلك ويخضعك لسلطانه فور أن يتكلم.

أخيراً ظهر الرجل على منصة الخطابة، ووقف الحضور جميعاً تحية له.

كان رجلاً متوسط العمر، متين البنيان، لا بالطويل ولا بالقصير، يتميز بعينين تشعان ذكاء متألقاً، وله نظرات نفاذة كأنما يسري فيها تيار كهربي قوي.

وحين وقف يتكلم تعلقت به العيون في انتباه شديد، استهل خطابه بأن قال:

– دعوني أولاً أرحب بزملائنا الجدد الذين انضموا إلينا في الأيام الأخيرة.

ثم شرع بعد هذا يتحدث عن أهداف المنظمة وأمانيها

حاولت "**هيلاري**" – فيما بعد – أن تستعيد إلى ذهنها ما سمعته فاستعصى عليها الأمر، وخيل إليها أنه لم يتفوه إلا بكلمات عادية مرسلة جوفاء، وإن كان الإنصات إليه أمراً مختلفاً جداً، فحين يتكلم تحس بسحره يطغى عليك ويأخذك ويحتويك، ولكن إذا ما حللت كلماته، فسوف تجدها مجرد لغو لا يقدم ولا

يؤخر، ذكرت "**هيلاري**" عند هذا ما حدثها به صديق لها عاش في "**ألمانيا**" أثناء الحرب. وكيف كان الشعب الألماني يجن ويشتعل حين يستمع إلى "**هتلر**".

وكان خطيب الليلة أيضاً من هذا الطراز العجيب.

سحر الحاضرين بكلماته، فجعلوا يتابعون كلماته مشدوهين، كأنما يهيمون في السماوات.

تكلم الخطيب في البداية عن الشباب، ودور الشباب في حكم العالم، وأن مستقبل البشرية منوط بالشباب.

قال:

– الثروات المكدسة، والنفوذ الإقطاعي، والأسرة الكبيرة المتضامنة– تلك كلها هي أسلحة الماضي.. أما اليوم فالشباب هو مصدر القوة والسلطان..

نعم.. إن العقول هي القوة.. عقل الكيميائي والعالم الطبيعي، والمهندس.. من بطون المعامل أيها الأصدقاء تنبثق القوة، التي يمكن أن تدمر العالم..

وبهذه القوة في أيدينا يمكن أن نقول للدنيا: "إما التسليم وإما الموت..!"

واستطرد قائلا:

– وهذه القوة المدمرة الهائلة لايصح أبداً أن تكون في يد دولة واحدة، وإنما تتقاسمها جميع الدول، تكون ملكًا للجميع.. إنكم أيها الأصدقاء جئتم من جميع البلاد، جئتم ومعكم معظم ما وصل إليه العلم من اكتشافات، كما جئتم ومعكم الشباب:

فليس من بينكم من تجاوز الأربعين.. فهنا سوف نقيم دولة الشباب، لكي تحكم العالم.. سنقول للدنيا:

"ها قد جاء الشباب ليحكم ويسيطر.. أيها الرأسماليون.. أيها الملوك.. يا رجال الصناعة ويا قادة الجيوش– تخلوا عن مقاعدكم فالشباب قد جاء ليحكم!"

وعلى هذا النسق جرت الخطابة كلها.. كلمات رنانة مدوية، خلبت ألباب السامعين وسحرتهم، فما إن فرغ منها حتى هبوا جميعًا وقوفًا يصفقون ويهللون.

✽✽✽✽✽

وأخذ "**آندرو بيترز**" بذراع "**هيلاري**" وهو يقول:

– هيا بنا إلى حديقة السطح، فإني في حاجة إلى الهواء النقي.

قال لها وهما يتمشيان في الحديقة:

– هيا انفضي عنك سحر الرجل، فقد كاد أن يفسد عقولنا.

فقالت: الحق أن كلماته سحرتني، وإن كانت كلها عبارات جوفاء فارغة.

واستطرد "**بيترز**" يقول:

– إنني بعد أن استمعت إلى هذا الخطاب ازددت عزمًا على أن أخرج من هنا.

فقالت:

– ولكن كيف..؟ كيف..؟ إنني أراه طريقًا مسدودًا، لاسبيل إلى ثغرة فيه.

فقال:

– وهل حسبتني خاملاً متواكلاً؟ إنني ماض في تدبير خطتي.

– وهل ستوفق..؟

– هذا ما أتوقعه.

– وهل تنوي أن تأخذني معك..؟

فتأملها برهة ثم قال:

– وهل يخامرك شك في هذا؟

فسألته:

–و"**بيترتون**"بالتأكيد..؟

فتجهم وجهه وقال:

– صدقيني يا "**أوليف**" فيما أقول: "إنه من الأسلم لـ "**بيترتون**" أن يبقى هنا".

فتطلعت إليه في استغراب وقالت:

– من الأسلم أن يبقى هنا..! ماذا تقصد..؟

أتعني أن عقله قد اختبل، وأنه أصبح مجنونًا..؟

فقال:

– إنه سليم العقل.. مثلي ومثلك تماماً.

– إذن فلماذا يبقى هنا..؟ ألعلك تعتقد أنه خان وطنه وباع أسراره العلمية إلى المنظمة..؟ ألا تعلم أنه متلهف إلى الهرب؟

فقال "بيترز" في أسى:

– لقد حذرتك، وحسبي هذا..

ثم أردف:

– بالله عليك ما الذي يجعلك تهتمين بهذا الرجل؟

همت بأن تصرخ فيه:

– ولكنني لاأهتم به.. إنك أنت الوحيد الذي أهتم به؛ لأنني أحبك.

ولكنها في اللحظة الأخيرة أمسكت بالكلمات التي كاد أن يجري بها لسانها، واكتفت بأن تطلعت إليه بنظرة تفيض أسى ومرارة.

*****

قال لها "بيترتون" وقد عادت إلى جناحها:

– هل قضيت وقتاً ممتعاً مع صديقك الأمريكي؟

فتضرج وجه "هيلاري" احمراراً وأجابت:

– أتراك تغار منه؟ أنسيت أننا كنا رفيقين في السفر؟

فضحك "بيترتون" وقال:

– لست ألومك على أية حال، فإنه وسيم جذاب.

واستطرد يقول:

– وأنت أيضاً امرأة جميلة، لم أفطن إلى ذلك من قبل؛ لأنني مشتت العقل لا أستطيع أن أركز تفكيري على شيء.. هذا المكان يخنقني ويحطم أعصابي..

فقالت:

– ولكن الآخرين يعملون ويفكرون، فلم لاتكون مثلهم؟

فأجاب:

– لأنهم جماعة من الحمقى ماتت مشاعرهم.

– ولكن لاشك في أن فيهم نفراً مرهفي الإحساس.

ثم أردفت:

– لِمَ لا تتخير من بينهم صديقًا فتجد في صحبته ما يرفه عنك؟

فقال:

– إن "**إيريكسون**" هو صديقي الوحيد.

فقالت في دهشة واستنكار:

– حقًّا؟ ولكني لاأرتاح إلى هذا الرجل. إنه يخيفني.

– "**توركيل**" يخيفك؟ إنه رجل وديع مسالم كأنه طفل.

فعادت تقول في عناد:

– مهما يكن فإنه يخيفني. .ولكم أتمنى أن تقطع صلتك به.

– ولكن لماذا؟ ما الذي تأخذينه عليه؟ لماذا تكرهينه؟ ما الذي يخيفك منه؟

– لا أدري. . مجرد هاجس بنفسي. . ليس سوى إلهام.

- 16 -

قال المفتش "**ليبلان**":

– لاشك في أنهم غادروا "**إفريقيا**" بالطائرة. فرد "**جيسوب**":

– ليس الأمر مؤكداً.

– ولكن الاحتمالات كلها تشير إلى هذا. . إننا جميعًا نعرف الجهة التي يقصدونها.

– وهذا أيضًا أمر غير مؤكد، فإذا كانوا قاصدين هذه الجهة، فما الذي يجعلهم يتكبدون مشقة السفر أولا إلى "**إفريقيا**"، وبعد ذلك يسافرون إلى تلك الجهة. .؟ إن من الأسهل عليهم أن يسافروا إليها رأسًا من "**أوربا**".

فقال "**ليبلان**":

– هذا صحيح، ولكن لعلهم فعلوا هذا؛ ليضللوا كل من يحاول أن يتعقب

أثرهم؛ إذ لن يخطر لأحد أن "**إفريقيا**" هي مقر الاجتماع.

بيد أن "**جيسوب**" ظل متشبثًا برأيه فقال:

- إنني أعتقد أن في الأمر سرًا خفيًا، فالمطار صغير الحجم، لايتسع إلا لطائرة صغيرة، إذا عبروا بها البحر الأبيض، فقد استهدفوا لمخاطر لاداعي لأن يعرضوا أنفسهم لها. وفضلاً عن ذلك، فلابد أن يهبطوا في أكثر من مطار ليتزودوا بالبنزين، وفي هذا ما يسترعي الأنظار إليهم فينكشف أمرهم..

كلا يا عزيزي "**ليبلان**".. إنني أعتقد أنهم لم يبرحوا "**إفريقيا**".

فقال "**ليبلان**":

- ولكننا لم ندع مكانًا إلا فتشناه.

فقال "**جيسوب**":

- إننا افترضنا أنهم سيعبرون البحر الأبيض؛ ولذلك اتجهت أبحاثنا ناحية الجنوب، فلِمَ لا نعكس الأمر ونمد بحثنا إلى الشمال؟

- ولكن ما عسى أن تكون وجهتهم؟ ليس في الشمال إلا جبال شاهقة، تمتد وراءها صحراء شاسعة بلا حدود.

فغمغم "**جيسوب**" متأملاً:

- من يدري؟ من يدري؟

*****

قال الرجل أسمر الوجه، الذي ينحدر من قبائل البربر:

- إنك أقسمت يا سيدي أن تفي بوعدك.

فرد عليه "**آندرو بيترز**": بالتأكيد سأفي بوعدي.

- وهل ستكون مكافأتي محطة بنزين في "**أمريكا**"؟! في "**شيكاغو**".؟ هل أنت متأكد؟

- إني متأكد يا "**محمد**" طالما استطعت أن تخرجنا من هنا.

- إن النجاح مرهون بإرادة الله.

– إذن دعنا نأمل أن تكون إرادة الله قد قضت لك بمحطة بنزين في "شيكاغو" .. ولكن لماذا "شيكاغو" بالذات؟

– لأن شقيق زوجتي مقيم في "أمريكا" ولديه محطة بنزين في "أمريكا" و لا أريد أن أكون دونه مقاماً.. لدينا هناك مال كثير، وطعام وفير، ونساء جميلات، ولكن "أمريكا" بلاد متحضرة.

قال "بيترز" :

– إنك تدرك بالتأكيد أنهم إن عثروا علينا فإننا...

فقال "محمد" مقاطعًا:

– إن عثروا عليكم، فالموت جزائي، ولكنهم لن يمسوكم أنتم بسوء؛ لأنهم في حاجة إليكم.

أردف "محمد" : ومع ذلك فإني لاأخاف الموت.. إن الموت مكتوب على البشر، يأتيهم من حيث لايدركون.. الموت هو قضاء الله.

فسأله "بيترز" :

– وهل وعيت تمامًا ما أريده منك؟

– نعم يا سيدي.. عليّ أن أصعد بك إلى السطح بعد هبوط الظلام، وأن آتيك بثياب مراكشية مشابهة تمامًا للثياب التي أرتديها أنا والخدم.

– تمامًا.. وإذا نجحنا فلك محطة البنزين الموعودة.

*****

في ذلك المساء أقيمت حفلة ساهرة، دار فيها الرقص والشراب ساعات متصلة.

ورقص "آندرو بيترز" مع الآنسة "جينسون"، وكان يضمها إلى صدره في رقة، وبدا أنه كان يهمس في أذنها بكلمات ناعمة ويناجيها، فقد كانت نظراتها تشع أحلامًا من وراء زجاج نظارتها المزدوج السميك. وفي دورانهما حول القاعة، مرا بـ"هيلاري" ، فغمز لها "بيترز" بعينه خفية عن زميلته، وأشاحت "هيلاري" بنظرها بعيداً، وقد قطبت بين عينيها استياء.

وقع بصر "**هيلاري**" على "**توم بيترتون**" وقد انتحى بـ "**توركيل إيريكسون**" جانبًا من القاعة،وهما منهمكان في الحديث.

سمعت "**هيلاري**" صوتًا إلى جانبها يقول:

– أتسمحين لي بهذه الرقصة يا "**أوليف**"؟

كان "**مارشيسون**" هو الذي يتوجه إليها بالخطاب.

أجابت:

– يسعدني أن أراقصك يا "**سيمون**".

قال ينذرها:

– ولكن يجب أن أحذرك من أنني لا أجيد الرقص.

ابتسمت له "**هيلاري**" دون أن تعقب بكلمة، ولكنها ركزت انتباهها طوال الوقت؛ حتى لا يطأ قدميها.

وقال لها "**مارشيسون**" وأنفاسه تتتابع لاهثة:

– الرقص يحتاج إلى موالاة التدريب، ولكنني بكل أسف لاأرقص إلا نادراً.

ثم تطلع إليها وهي بين ذراعيه وقال:

– ما أجمل هذا الفستان...و

أدركت "**هيلاري**" على الفور أنه لُقن هذه العبارات دون شك من كتاب عتيق عن: "كيف تتحدث وأنت ترقص".

أجابت:

– يسرني أنه راقك.

– إنك بالتأكيد اشتريته من قسم الملابس هنا.

كان هذا منه سؤالاً سخيفًا لاداعي له، إذ من أين لها به إلاّ أن يكون من قسم الملابس "هنا"..!

واستطرد "**مارشيسون**" بعد لحظات، وقد اشتدت أنفاسه انبهاراً لفرط ما أدركه من التعب:

– إنهم هنا يحسنون معاملتنا.. كنت أقول لـ"**بيانكا**" بالأمس إن كل شيء

متوافر هنا.. الطعام جيد وفير، والأجر ضخم مجز، ولسنا مطالبين بشيء من الضرائب. إننا في الحق نعيش هنا حياة رائعة.

فسألته "**هيلاري**":

– وهل تراها "**بيانكا**" حياة رائعة؟

فقال في شيء من التردد:

– لقد خامرها شيء من الضيق في البداية، ولكنها ما لبثت أن ألفت الحياة هنا، وأخذت تشغل فراغها بالنشاط الاجتماعي، وكانت تتمنى لو أنك شاركتها نشاطها.

فقالت:

– إني امرأة منطوية على نفسي، ولايستهويني النشاط الاجتماعي.

فقال:

– هذا عجيب، فإن المرأة العصرية ولعة بأن تشغل نفسها بأي شيء.

ثم أردف:

– إنني لا أجهل أن النساء اللاتي آثرن القدوم إلى هذا المكان– من مثيلاتك أنت و"**بيانكا**"– أقدمن دون شك على تضحية جسيمة، فأنت مثلاً لست من العلماء، ولا عمل لديك هنا، وزوجك منشغل طوال الوقت، غارق في معمله بين أنابيب الاختبار.. وقد قلت لـ "**بيانكا**" إن "**أوليف**"قد تضيق في البداية بهذه الحياة، ولكنها لن تلبث أن تألفها وتعتادها.

انتزعها من خواطرها أن ظهر الدكتور "**نيلسون**" في صدر القاعة ولوح بيده، فسكتت الموسيقى وكف الراقصون عن الرقص.

قال الدكتور "**نيلسون**" يخاطب الحاضرين:

– أيها الأصدقاء والزملاء.. إنكم ستضطرون غداً إلى أن تلزموا جناح الطوارئ ولاتخرجوا منه، فهناك بعثة قادمة لزيارة المستشفى، وليس لهم بالتأكيد أن يشاهدوا أحداً منكم، ولكن الأمر لن يطول أكثر من أربع وعشرين ساعة، ففورانصرافهم تعودون إلى سابق حريتكم، وتتجولون في أرجاء المكان كما

تشاءون.

على أثر هذه الكلمات انسحب من القاعة، وعادت الموسيقى إلى عزفها، وبدأ الحاضرون يرقصون.

ومال "**بيترز**" إلى "**هيلاري**" يقول:

- إذن فغداً سنحبس في سجن خاص، كأنما لايكفينا هذا السجن الذي نعيش فيه.

✽✽✽✽✽

في صباح اليوم التالي دوى جرس الإنذار، فهرعوا جميعًا إلى قاعة المحاضرات، ومن هناك تولت الآنسة "**جينسون**"إرشادهم إلى جناح الطوارئ.

مشت بهم في دهاليز متعرجة لا تنتهي، وكان "**بيترز**" يسير متابطًا ذراع "**هيلاري**"، وقد أخفى في يده بوصلة صغيرة.

وقال لها:

- هذه البوصلة قد تهدينا إلى الطريق فيما بعد حين تدعو الحاجة.

وانتهوا إلى دهليز توقفوا فيه، وضعطت الآنسة "**جينسون**"على زر في الجدار، فدار الجدارحول نفسه، وكشف عن فجوة كبيرة نفذ من خلالها إلى جناح الطوارئ.

أخرج "**بيترز**" علبة سجائره المصنوعة من غلاف قنبلة، وتناول منها سيجارة، وقبل أن يشعلها ارتفع صوت الدكتور "**نيلسون**" قائلاً:

- إن التدخين ممنوع أيها الأصدقاء.

وقال "**بيترز**" معتذراً:

- آسف.

وأعاد السيجارة إلى علبته، ولكنه لم يعد العلبة إلى جيبه. بل إستبقاها في يده.

ودخلوا قاعة فسيحة، صفت الأسرة في ركنين منها ركن للرجال وآخر للنساء. في ركن ثالث وضعت مائدة كبيرة وحولها المقاعد. كما كان هناك مشرب كبير في الركن الرابع، أما وسط القاعة فشغلته المقاعد والفوتيهات.

وقالت "جينسون" تخاطب الحاضرين:

– ستجدون هنا كل ما تحتاجون إليه من شراب وطعام، ولكن المقام لن يطول بكم في هذا المكان؛ فما إن تنصرف البعثة حتى يباح لكم الخروج.

*****

كانت القاعة بلا نوافذ، ولكنها كانت مزودة بأجهزة التكييف، كما كان بها رفوف تكدست فوقها الكتب لمن يحبون القراءة.

مال "بيترز" إلى "هيلاري" وهو يقول هامساً:

– الجدران صماء بلا نوافذ؛ حتى لايفطن أحد في الخارج إلى أن في هذا الموقع قاعة فيها علماء من الذين اختفوا من كل أرجاء الدنيا.

انقضى النهار في هدوء وسلام، وأمضى الحاضرون وقتهم في القراءة أو الكتابة أو لعب الورق أو الحديث.

وأخيراً حانت ساعة النوم، فنهضت "هيلاري" واقفة، وحيت من معها، معتذرة بأنها تريد أن تأوي إلى فراشها.

على أنها مشت عبر القاعة بضع خطوات حتى لمست يدٌ ذراعها، فاستدارت ورأت إزاءها عربيًّا أسمر الوجه، يرتدي تلك الثياب المزركشة التي يلبسها الخدم، وقال لها الرجل:

– أرجو أن تأتي معي يا سيدتي.

فسألته:

– آتي؟ ولكن إلى أين؟

فلم يزد على أن قال:

– أرجو أن تتبعيني يا سيدتي.

وتسمرت مكانها برهة مترددة.

وللمرة الثانية أحست بيد الرجل على ذراعيها وهو يقول مكرراً:

– أرجو أن تتبعيني يا سيدتي.

ورأت أنه لامناص من الإذعان، فمشت وراء الرجل بضع خطوات، ثم استدارت تتطلع إلى ما وراءها.

رأت "**بيترز**" يتابعها بنظراته، وكأنما يريد أن يلحق بها.

مشى بها الرجل إلى باب سري في ركن القاعة، وفتحه بمفتاح صغير في جيبه، ثم خرج بها إلى دهليز قصير، وفتح بابًا آخر انكشف عن مصعد مخبأ في الجدار، ودعاها إلى الدخول.

قالت له "**هيلاري**" والمصعد يشق بهما الطريق إلى أعلى:

– ولكن إلى أين تذهب بي؟

فأجاب:

– إلى «السيد» يا سيدتي، وهذا شرف عظيم.

فقالت:

– أتقصد المدير؟

فأجاب:

– بل السيد نفسه يا سيدتي.

توقف المصعد، وخرجت منه "**هيلاري**" في أعقاب الدليل.

فاجتاز بها ردهة فرشت بالسجاد، ثم فتح بابًا في صدر الردهة، ودعاها إلى الدخول.

كانت الغرفة مؤثثة على الطراز الشرقي، صفت بها الأرائك المنقوشة، ووضعت فوقها الوسائد.

وهناك على أريكة في صدر القاعة كان هناك رجل جالس يدخن في هدوء.

تطلعت إلى وجه الرجل، ثم فغرت عينيها دهشة، فما كان هذا الرجل إلا المليونير اليوناني: السيد "**أريستيد**".

- 17 -

قال السيد "**أريستيد**":

– اجلسي يا سيدتي العزيزة.

وأومأ بيده إلى إحدى الأرائك، فمشت إليها "**هيلاري**" في صمت، مأخوذة مشدوهة كأنها في حلم، واستوت جالسة.

أطلق المليونير ضحكة خافتة مبتورة وقال:

– إنك دهشة بالتأكيد، فليس هذا ما كنت تتوقعين.

فأجابت "**هيلاري**":

–كلا بالتأكيد.. فلم يخطر لي قط أن.. لم أكن أتصور أن.. وأمسكت دون أن تتم ما كاد أن يجري به لسانها.

إذن فالسيد "**أريستيد**" هو منشئ هذا المركز العلمي. إنه هو صاحب كل هذا التدبير، ومن ملايينه المكدسة ينفق على الأبحاث الجارية.

وقالت "**هيلاري**":

– إذن فكل هذا ملك لك؟

فأجاب:

– نعم يا سيدتي.

– والمدير؟ ما شأنه؟

– ليس سوى موظف يتولى إدارة العمل، وإلقاء المحاضرات، واستقبال البعثات التي تزور المستشفى.

لاذت "**هيلاري**" بالصمت وغرقت في خواطرها.

وقال لها:

– لديك قهوة تركية رائعة.. أوغيرها من المشروبات إن شئت.

ثم استطرد:

– إنني رجل محب للخير والإحسان، كما أنني غني جداً كما تعرفين.. إنني من كبارالأغنياء في العالم، بل لعلي أغنى رجل في الدنيا.. والثراء يفرض على صاحبه التزامات معينة حيال الإنسانية؛ ولذلك أقمت هذه المستعمرة للمجذومين، وزودتها بأعظم العلماء والأطباء لدراسة الجذام واكتشاف علاج ناجح له، وقد

وفقنا في هذا إلى حد كبير، فقد شفيت حالات كثيرة، وإن كانت هناك بعض حالات استعصت على الشفاء. وليس هذا فقط، فقد أنشأت مركزًا آخر لأبحاث الجدري، ومركزًا ثالثًا لأبحاث السرطان.

وجذب المليونير بضعة أنفاس من سيجارته، ثم استطرد:

– إن الجذام مرض رهيب، وفيما مضى كان المجذومون يطردون إلى خارج المدن، حيث يتركون في العراء حتى توافيهم المنية. أما اليوم فهنا في مركز الأبحاث الذي أنشأته يعالجون ويشفون.

سكت السيد "**أريستيد**" هنيهة، ثم استطرد:

– ولكن المراكز العلمية هذه ليست هي الهدف الذي أرمي إليه.. إن مستعمرة الجذام ليست إلا ستارًا أخفي وراءه "مجمع العلماء".

فتساءلت "**هيلاري**":

– "مجمع العلماء"؟

– نعم.. إني أجمع العلماء هنا في ركن خفي من المستعمرة؛ ليقوموا بأبحاث سرية من نوع آخر.

فقالت "**هيلاري**":

– ليخترعوا لك أجهزة التدمير.. ولكن لماذا؟ لماذا تريد أن تدمر الدنيا يا سيد "**أريستيد**"؟

– أنا أريد أن أدمر الدنيا يا عزيزتي؟ إنك بهذا تخطئين في حقي يا سيدتي. إنني رجل محسن محب للخير، ومع ذلك فأنا في نفس الوقت "رجل أعمال".

فتطلعت إليه "**هيلاري**" في استغراب وقالت:

– رجل أعمال؟ ماذا تعني؟

فقال:

– عندما تزيد الثروة على حدها تصبح شيئًا مزعجًا يحطم الأعصاب، فيسعى المرء إلى أشياء يرفه بها عن نفسه. وقد اتجهت إلى جمع التحف واللوحات حتى ضقت بها، ثم هويت جمع طوابع البريد، فكانت مجموعتي هي أشهر وأعظم

مجموعة في العالم. أما اليوم، فإنني أجمع «العقول».

فرددت "هيلاري" وراءه:

– "العقول"..!

– نعم. وهي أمتع هواية مارستها.. إنني أجمع هنا عقول العباقرة، ورويداً رويداً سيكون لديّ في هذا المركز أعظم العقول العلمية في الدنيا، ولكني لاأنتقي إلا الشبان وحدهم.

وسيحل يوم ينتبه فيه العالم على أنه أصبح خاليًا من العلماء، ولم يعد لديه منهم إلا المسنون والعجائز، وعندئذ يتجه العالم إليّ ويتوسل أن أمده بمن لدي من علماء شبان. ولما كنت رجل اعمال كما قلت لك، فإني لن أتردد في أن أبيع للدول "علمائي".

– تبيع لهم علماءك.؟ أهم سلعة في نظرك؟!

– ولِمَ لايكونون؟

– إذن فهذا كله مشروع تجاري بحت، لاشأن له بالسياسة.

فقال السيد "أريستيد":

– السياسة؟ إني رجل أمقت السياسة والسياسيين.

– ألا تريد أن تسيطر على العالم وتحكمه؟

– وما يعنيني من العالم حتى أشغل نفسي به؟ إنني لاأريد أن أكون إلهًا أديرالعالم.. إنني رجل مؤمن.. إنني تاجر فقط، والعلماء هم تجارتي.. إنهم السلعة التي أتعامل فيها.

فقالت "هيلاري":

– وإذن فما هذا الذي سمعته عن الشباب وحكم الشباب، وأن المستقبل لهم؟

– محض كلمات جوفاء تخلب ألبابهم وتستهويهم، فهذه هي النغمة التي يحبها الشباب.

– لقد ظننت أنك تريد منهم أن يخترعوا لك آلات الدمار والهلاك؛ حتى تهدد الدول بما لديك، وتتولى حكم الدنيا.

فاغرق السيد "**أريستيد**" في الضحك وقال:

– هذا شيء لم يخطر لي ببال.

– ولكن كيف استطعت أن تجمع كل هؤلاء العلماء هنا؟

– إني أشتريهم كما يشتري المرء سلعة معروضة في السوق.. أشتريهم بالمال والأحلام، فمعظم الشبان يعيشون في الأوهام والأحلام، وما عليّ إلا أن أجاريهم في أوهامهم فيتهافتون عليّ، وأنقدهم أجرًا ضخمًا.

فقالت "**هيلاري**":

– إذن فهذا تعليل ما لاحظته عليهم من أنهم يعتنقون عقائد مختلفة، ولاتربطهم عقيدة سياسية واحدة.

فهذا الأمريكي "**بيترز**" يساري متطرف، و"**إيريكسون**" رجل الأحلام والمثل العليا، والإنسان المتفوق "السوبرمان"، أما "**هيلدا نيدهايم**" ففاشيستية متحمسة، تملك قلبًا من الصخر، مجردًا من المشاعر الإنسانية، أما الدكتور "**بارون**"..

فقاطعها "**أريستيد**":

– الدكتور "**بارون**" رجل جشع لايعبد إلا المال، وقد نقدته ما يسد جشعه.

ثم أردف ضاحكًا:

– إنك امرأة ذكية يا سيدتي، فعلى الرغم من قصر المدة التي أمضيتها مع هؤلاء العلماء، فإنك استطعت أن تنفذي إلى بواطن نفوسهم.. نعم.. إنك امرأة متوقدة الذكاء، ولعلك لاتعلمين أني إنما ذهبت إلى "**فزان**" لأراقبك عن كثب.

فتساءلت "**هيلاري**":

– ولكن لماذا؟ ما الذي دفعك إلى الاهتمام بأمري؟

فقال:

– إن العباقرة الذين يضمهم هذا المركز أفذاذ في أبحاثهم، ولكنهم غير اجتماعيين، وصحبتهم لاتلذ لأحد، ونساؤهم غبيات يثرن الضجر والملل، وأنت الوحيدة الذكية بينهن.

واستطرد:

– إني عادة لا أحبذ وجود الزوجات هنا إلا إذا دعت الضرورة، كان أرى الزوج عاجزاً عن الاكتشافات والاختراعات، وتركيز الذهن؛ لفرط قلقه على زوجته التي خلفها وراءه. ولقد كان هذا شأن زوجك مذ حل بهذا المكان، ولهذا أتيت بك. لقد خاب ظني في زوجك يا سيدتي العزيزة.

فقالت "هيلاري":

– ولكن هذا لابد أن يحدث من حين لآخر؛ لأن العالم لا يمكن أن يبتكر ويخلق إلا إذا أحس بأنه حر طليق، وهم جميعاً يشعرون – دون شك – بأنهم يعيشون سجناء وراء الأسوار والقضبان؛ ولهذا لابد أن يتمردوا ويثوروا من حين لآخر.

– لكن العصفور لن يثور إذا زودناه في قفصه بكل ما يحتاج إليه: الطعام والماء ورفيقته.. إنه لايلبث أن ينسى الدنيا الخارجية، وسينسى أنه كان حراً في يوم من الأيام.. إن الحرية ليست سوى عادة.

فقالت "هيلاري" بصوت مرتعد:

– إنك تخيفني بهذه الآراء.

ثم أردفت:

– ولكن العالم الذي سوف تبيعه قد يرفض أن يعمل في خدمة سيده الجديد، وقد يتمرد ويسعى إلى أن يكون حراً، فالحرية ليست عادة كما تزعم أنت، بل هي غريزة كامنة في النفس.. حتى الطفل الصغير يسعى إلى الحرية، ويتمرد على أوامر أمه.

فقال:

– أما سمعت قط يا عزيزتي عن عملية "غسل المخ"؟ إذا شعرنا بان الرجل بدأ يثور ويتمرد، فلا أسهل من أن نجري له عملية «غسل مخ»، فينقلب وديعاً كالحمل الوديع. هناك عقار يحقن به الإنسان، فيؤدي إلى هذه النتيجة.

–ولكن ألا تخشى أن يؤثر هذا في قدرته على التفكير، وأن يفقد عبقريته أو بعضها على الأقل؟

– إن "غسل المخ" لايؤثر إطلاقًا في القدرة على التفكير، كل ما هناك أنه يجعل المرء وديعًا مسالمًا مستكينًا.

فهتفت "**هيلاري**" : هذا فظيع! هذا رهيب!

– ولكنه مفيد.. إنه يجعل الرجل بلا هموم أو قلق.

فهزت رأسها في عناد وتشبث وقالت:

– مازلت أعتقد أن عملية "غسل المخ" تشل القدرة على التفكير.

فقال:

– إننا على أية حال ماضون في إجراء التجارب، وقد وصلنا إلى نتائج مبشرة.

فتساءلت:

– وهل تجرون التجارب على الحيوانات.

فضحك وقال:

– حيوانات! إننا نجريها على البشر.

فهتفت "**هيلاري**" في استنكار:

– البشر!

– بالتأكيد، فبعض العلماء الذين حضروا إلى هنا، أثبتوا أنهم فاشلون، ولم يكتشفوا جديداً، فأي نفع لهم عندنا؟

– ولكن أمن حقكم أن تتخذوهم حقلاً للتجارب؟

– ولِمَ لا؟ لصالح الإنسانية.. إننا هنا نضحي بالفرد من أجل الجميع.

تطلعت إليه "**هيلاري**" في ذهول. "هذا الرجل لابد أن يكون مخبول العقل".

قال لها "**أريستيد**" :

– ولكن ما الذي يعنيك أنت من الأمر كله؟ إن الذي يهمك هو زوجك دون الآخرين.. أتخشين أن أجري عليه تجاربي؟

– هذا ما أتوقعه مادمت تجده غير منتج.

ثم أردفت:

– أتوسل إليك أن تطلق سراحه، وأن تعيده إلى بلاده.

فضحك "أريستيد" في سخرية وقال:

– أعيده لكي يفشي سري ويتحدث بما رأى هنا؟

فقالت:

– سأطلب إليه أن يقسم على الكتمان، وإذا أقسم فسوف يفي.

فاشتدت ضحكته سخرية وقال:

– إنه رجل لايفي بالعهد، فقد أفشى إليّ بكل ما يعرف من أسرار علمية لقاء ما نقدته من مال.

ثم استطرد:

– ومع ذلك فإني على استعداد لأن أطلق سراحه، ولكن على شرط.

– وماذا يكون هذا الشرط؟

– أن تبقي أنت هنا رهينة لدينا؛ حتى لايفشي أسرارنا خوفًا عليك مما قد يصيبك. فهل أنت على استعداد لقبول هذه التضحية؟

وهمت بأن تقول له إن "بيترتون" بالنسبة إليها رجل غريب، وأنه ليس زوجها، وأن عينيها لم تقعا عليه إلا يوم جاءت إلى المركز العلمي.

ولكنها بدلا من هذا قالت:

– نعم.. إني على استعداد للبقاء.. رهينة كما تقول أنت.

فقال "أريستيد":

– وفي هذا ما يسعدني.. فأنت امرأة ذكية، وأنا أحب الذكيات من النساء.

وسرح ببصره هنيهة ثم قال في شرود:

– ثم إن لك شعراً أحمر، وقد كانت زوجتي ذات شعر أحمر، فما رأيتك حتى أهجت في نفسي عواطفي التي ماتت وخمدت.. نعم.. إنني أشعر لأول مرة منذ سنوات طويلة بأن جذوة الحب بدأت تشتعل في قلبي من جديد، وسوف أجعلك أسعد النساء.

تفرست فيه "هيلاري" برهة، ثم هتفت:

– كلا.. كلا.. لاأريد أن أبقى.. أريد أن أرحل عن هذا المكان.. أتوسل إليك

أن تطلق سراحي.

فرماها "**أريستيد**" بنظرة طويلة ثم قال:

– بل ستبقين هنا.. إلى الأبد.. نعم.. أنت وزوجك لن ترحلا..!

- 18 -

أفاقت "**هيلاري كرافن**" في جوف الليل على أزيز طائرة يشق سكون الليل، وارتكزت على مرفقها تنصت إلى الأزيز..

ثم نادت "**توم بيترتون**" الذي كان مستغرقًا في نومه على سرير آخر بالقرب منها، قالت له وقد أفاق:

– "**توم**"..أتسمع أزيز طائرة..؟ إنها تطير منخفضة فوق البناء.

فقال ومازال النعاس يغالبه:

– إن الطائرات لاتفتأ تروح وتغدو في هذه المنطقة.

فقالت:

– ما يدريني أنها طائرة جاءت لكي..

ثم بترت جملتها ولاذت بالصمت، ولم يسألها "**توم**" عما كانت بسبيل التفوه به؛ إذ ما لبث أن غرق في النوم من جديد.

لبثت "**هيلاري**" متيقظة، وهي تستعيد إلى ذهنها دقائق ذلك الحديث الذي جرى بينها وبين "**أريستيد**".

لقد هام بها العجوز حبًّا، ولم يتردد في أن يصارحها بالمشاعر التي يجيش بها فؤاده، فهل تستغل هذا الوضع وتلعب بهذه الورقة؟

عندما يجيء في المرة التالية ويدعوها إلى لقائه فسوف تستدرجه إلى الحديث عن زوجته ذات الشعر الأحمر.

إن الذي اجتذبه إليها لم يكن جمالاً خلابًا، أو قوامًا ساحرًا، وإنما تاج من الشعرالأحمر، فهورجل عزوف عن النساء، بعيد أن يفكر في الجنس.

ولكنه يستعيد فيها ذكريات الشباب التي اندثرت.. إنها بشعرها الأحمر

تذكره بتلك التي أحبها على عهد الصبا والشباب.

فهل تراها تستطيع أن تستغل فيه هذه النزوة؛ لكي تحمله على أن يصحبها معه إلى العالم الخارجي؟

طالما قالت في نفسها: "لابد أن أخرج من هذا السجن، لابد أن أجد وسيلة للفرار".

فهل يكون "**أريستيد**" هو طريق الهرب..؟!

*****

قال المفتش "**ليبلان**" وقد أشرق وجهه:

– رسالة.. ها نحن أولاء أخيرًا نتلقى رسالة.

كان سكرتيره قد دخل عليه يحمل إليه ورقة مطوية، تناولها منه "**ليبلان**" وفضها وجرت عليها عيناه سريعًا، ثم قال في انفعال:

– هذا تقرير من أحد الطيارين الذين عهدت إليهم بأن يمسحوا الصحراء في المنطقة المتاخمة لجبال "**أطلس**".

فتساءل "**جيسوب**":

– ما الذي جاء في التقرير؟

فأجاب:

– إنها مكتوبة بالشفرة، ويقول فيها إنه عند طيرانه فوق موقع معين في المنطقة الجبلية تلقى إشارة لاسلكية بطريقة "**مورس**"، وقد كررها مرسلها ثلاث مرات، وهذا نص الإشارة اللاسلكية.

وبسط أمام "**جيسوب**" ورقة لاتحمل إلا هذه الكلمات "**كوج جذام سيل**".

واستطرد المفتش "**ليبلان**" يقول:

– أما الكلمة الأولى "**كوج**" فهي كلمة السرالتي نعرف بها أن الرسالة اللاسلكية صادرة من أحد رجالنا، وليست مدسوسة علينا، والكلمة الثالثة "**سيل**" شفرة سرية معناها "لاأعلم شيئًا"،والكلمة الوسطى جذام معناها واضح.

فقال "جيسوب" :

– جذام! هل لديكم في هذه المنطقة مصحات للجذام؟

فأجاب الشرطي الفرنسي :

– لست أدري.. ومع ذلك يمكننا أن نتأكد.

وجاء بخريطة نشرها على المكتب، وانكب عليها يفحصها،وأومأ بأصبعه إلى موضع فيها وقال :

– هذه هي المنطقة التي كان طيارنا يحوم فوقها.

ثم أخذ يقرأ البيانات المدونة بهامش الخريطة.

وعاد يشير إلى نقطة ملونة باللون الأحمر وقال :

– هنا..انظر.. إنها مستعمرة للجذام.

– ومن صاحبها؟ من الذي يديرها؟ الحكومة الفرنسية؟

– لاأعلم، سوف نرى. لحظة واحدة.

غادر غرفته وعاد بعد لحظات يحمل مجلداً ضخمًا، اخذ يقلب صفحاته حتى استقر على صفحة معينة وقال :

– هاك ما نبحث عنه.. في هذا المكان المهجور من الصحراء مستعمرة للجذام، أنشأها وينفق عليها رجل محسن محب للخير من كبار الأغنياء.

وهي تضم مركزًا علميًّا لأبحاث الجذام والسرطان والجدري. وفي المستعمرة نحو مائتين من المجذومين، يشرف على علاجهم أشهر الأطباء، كما يقومون ببحث علمي يهدفون به إلى اكتشاف دواء ناجح للجذام، وهذا المركز العلمي فوق الشبهات كما أنه تحت رعاية رئيس الجمهورية نفسه.

فقال "جيسوب" :

– عظيم.. عظيم جدًّا.. وماذا لديك أيضًا من بيانات؟

واستطرد "ليبلان" :

– ومن حين لآخر تقوم بزيارة هذا المركز العلمي بعثات من كبار الشخصيات ومشاهير الأطباء، فتتفقده وتطلع على ما أحرزه من تقدم علمي، ثم تعود هذه

البعثات وهي تردد أعظم الثناء،دون أن تستريب في شيء.

– هذا لأنهم يرون ما يراد لهم أن يشاهدوا. إنني أشعر بأن هذا المركز العلمي ما هو إلا ستار يهدفون به إلى إخفاء نشاطهم المريب، فلا أصلح من المكان الشرعي المحترم؛ لإخفاء عمل غير مشروع وغير محترم.

فقال "**ليبلان**" في شيء من التردد:

– هذا محتمل، في مثل هذا المكان القصي المهجور، الذي يقع في قلب الصحراء يمكن تخبئة العلماء الذين اختفوا مدة أسبوعين أو ثلاثة حتى يواصلوا رحلتهم بعد ذلك إلى محطة الوصول المجهولة.

فقال "**جيسوب**": إنني أعتقد أن هذا المركز العلمي هو نفسه محطة الوصول، هو نهاية الرحلة.

– وما الذي يحملك على هذا الظن؟

– لأنه لاداعي لإنشاء مستعمرة يحبس فيها المجذومون، فإن الجذام اليوم مع أساليب العلاج يمكن أن يعالج في البيت.. فيما مضى كانوا يعلقون في رقبة المجذوم جرسًا، فإذا مشى في الطرقات أرسل الجرس رنينًا، فيتنبه الناس ويبتعدون عن طريق المصاب بهذا الداء. أما اليوم فالأمر يختلف، ولا داعي لإنشاء مستعمرة لعزل المصابين فيها؛ ولذلك أعتقد أن لهذا العمل الإنساني المتسم بالخير هدفًا آخر.. إن هذه المستعمرة ليست إلا واجهة تستر وراءها غرضًا خفيًّا.

فقال "**ليبلان**" ومازال التردد يساوره:

– ولكن المليونير "**أريستيد**" صاحب هذه المستعمرة رجل فوق الشبهات.. إنه من أكبر الأغنياء في هذا العصر، ومن كبار المحسنين المحبين للخير.. إن له مستشفيات خيرية في "**باريس**"وفي "**ليون**".

– وهل نسيت أن "**أريستيد**" كان موجودًا في "**فزان**"، في الوقت الذي كانت فيه "**أوليف بيترتون**" موجودة هناك؟

– أكان هناك حقًّا؟ إذن فالأمر غريب..!

– بل غريب جدًّا يا عزيزي "**ليبلان**".

وران الصمت برهة على الرجلين، وأخيراً قال "**ليبلان**" :

– إنها لمخاطرة جسيمة أن نتعرض للسيد "**أريستيد**" دون دليل نستند إليه، إن له نفوذًا لايمكن أن تتصور مداه، إن له أصبعًا في جميع المنشآت، والمؤسسات، والدوائر الحكومية، والبنوك، والصناعات الرئيسة، ومصانع السلاح، وشركات النقل، بإيماءة واحدة تسقط الحكومات وتفلس البنوك والشركات.

واستطرد "**ليبلان**" في شرود:

– إنه يعيش في قصره في "**إسبانيا**" منزويًا متباعداً عن الناس، ولكنه بملايينه يحرك الدولة ويسيطر عليها.. الوزراء جميعًا ليسوا سوى دمى مشدودة إلى خيط أصابعه.. فإذا شد الخيط تحركوا، وإذا أرخاه سكنوا وجمدوا في أماكنهم. إنه القوة المحركة المختفية وراء الستار، فيكف يمكن أن نواجهه ونتحداه؟ يجب أن يتوافر لدينا دليل.. أي دليل قبل أن نخطو خطوة واحدة.

فقال "**جيسوب**" :

– هون عليك يا صديقي.. إن الدليل لن يعوزنا في النهاية.

فقال "**ليبلان**" في وجوم:

– لو فشلنا فسوف نطرد– أنت وأنا– من عملنا شر طردة.

فقال "**جيسوب**" في هدوء:

– كن مطمئنًا يا صديقي.. إنّا لن نطرد، بل سوف ننتصر.

- 19 -

أخذت السيارات تهدر وهي تزحف على مهل، ترتقي التل في طريقها إلى مستعمرة الجذام، وأمام الباب الحديدي توقف الركب.

كانت أربع سيارات، وفي الأولى منها أحد الوزراء وبجانبه سفير "**أمريكا**" في "**باريس**"،وفي الثانية قنصل "**إنجلترا**" في "**مراكش**"وأحد أعضاء البرلمان الفرنسي ومدير شرطة "**باريس**". أما السيارة الثالثة فكانت تضم عضواً سابقًا في اللجنة

الملكية، ورئيسًا سابقًا في المحكمة العليا، مع اثنين من رجال الصحافة ذائعي الصيت. على حين كانت السيارة الرابعة تقل اثنين من أشهر رجال المخابرات، ومعهما المفتشان "**ليبلان**" و"**جيسوب**".

أسرع السائقون يفتحون أبواب السيارات، ونزلت منها هذه النخبة الممتازة من الزوار.

وغمغم الوزير في صوت خافت:

– أرجو أن تكون جميع الاحتياطات قد اتخذت تجنبًا للعدوى.

فأجابه المفتش "**ليبلان**":

–كن مطمئنًا يا سيدي الوزير.

لقد اتخذت جميع الاحتياطات، كما أننا لن نقترب منهم، بل سنراهم على البعد وهم وراء الأسلاك الشائكة.

بدا الارتياح على وجه الوزير، وقال السفير الأمريكي شيئًا عن طرق الوقاية الآمنة، وكيفية الحيلولة دون تسرب العدوى باتباع الأساليب الطبية الحديثة.

فتحت البوابة الضخمة على مصراعيها، وفي مدخلها كان نفر من موظفي المستعمرة في انتظار الضيوف للترحيب بهم، وعلى رأسهم مدير المستعمرة ونائب المدير واثنان من الأطباء.

وبعد تبادل التحيات قال الوزير:

– أرجو أن يكون عزيزي السيد "**أريستيد**" قد بر بوعده، فلم يعقه شيء عن الحضور.

فأجابه نائب المدير:

–لقد طار السيد "**أريستيد**" بالأمس قادمًا من "**إسبانيا**"، وهو ينتظركم في مكتبه يا سيدي الوزير، فهلا تفضلتم بمرافقتي؟

تقدم نائب المدير الركب والجميع في أعقابه.

استدار الوزير ببصره إلى اليمين، ورأى المجذومين يغدون وراء القضبان المزودة بالأسلاك الشائكة، وهم يحدقون إلى الضيوف كأنهم حيوانات حبيسة، فسرى

الاطمئنان إلى قلبه؛ إذ كانت فكرته عن داء الجذام هي نفس العقيدة المرعبة التي سادت القرون الوسطى.

وكان السيد "**أريستيد**" في انتظار ضيوفه في مكتبه الفخم، الفاخر الرياش.

رحب بزائريه في حرارة، وأبدى اغتباطه بزيارتهم لتفقد المستشفى ومعامل الأبحاث، والاطلاع على أحدث الاكتشافات التي وصل إليها الباحثون في ميدان العلاج، ثم أمر بتقديم مختلف المشروبات إلى ضيوفه. وقال أحد الصحفيين المرافقين للبعثة:

– الحق أنه عمل رائع يا سيد "**أريستيد**" هذا الذي تقومون به هنا.

فأومأ "**أريستيد**" برأسه وقال:

– يا سيدي إنني فخور بهذا المكان. إنه هديتي إلى الإنسانية، وما بخلت يومًا على الأبحاث التي تجرى هنا بأي قدر من المال.

قال أحد أطباء المستشفى في حماس وانفعال:

– إن هذا المركز العلمي هو اقصى ما يطمح إليه العلماء، فهو مزود بأحدث الأجهزة العلمية، ومن حسن الحظ أننا استطعنا أن نتوصل إلى نتائج باهرة.

فقال "**أريستيد**" في نبرة المسيحي المؤمن:

– كان من توفيق الله لي، ورضائه عني أن أحرزنا شيئًا من النجاح.

ومال عضو البرلمان على أذن رئيس المحكمة العليا السابق، وقال هامسًا:

– هذا العجوز المنافق يتظاهر بالتقوى والورع، والله يعلم عدد البيوت التي خربها بمضارباته.. إنه يستنزف دم الناس بإحدى يديه ويحسن باليد الأخرى.

وقال القاضي القديم مغمغمًا:

– إن أعظم الاكتشافات العلمية اكتشفت دون حاجة إلى مثل هذا البذخ والإسراف.

قال السيد "**أريستيد**" وقد فرغوا من تناول المشروبات:

– إنه ليسعدني أيها السادة أن تتناولوا الطعام معنا، وسينوب الدكتور "**فان هايديم**" عني في الترحيب بكم، فإنني أتبع نظامًا غذائيًا يحول دوني ومشاطرتكم الطعام على

ما تشاءون، وأن توجهوا إلى الدكتور "**فان هايديم**" ما يطيب لكم من أسئلة.

صحب الطبيب ضيوفه إلى قاعة المائدة، وكانت ألوان الطعام شهية وفاخرة، وأبدى الوزير ثناءه وتقديره.

وقال الدكتور "**فان هايديم**":

– إننا نولي الطعام عناية كبيرة؛ حتى لايشعر أحد من علمائنا أو مرضانا بأي نقص. فالفاكهة والخُضر تصل إلينا بالطائرة مرتين في الأسبوع، ولدينا ترتيب خاص بالنسبة إلى الدواجن واللحوم، كما أن لدينا ثلاجات ضخمة نحتفظ فيها بالمؤونة.

قُدم مع الطعام مشروبات من أفخر الأنواع، ثم قُدمت القهوة التركية في النهاية. وبعد ذلك بدأت البعثة تتفقد المركز العالمي، واستغرقت الزيارة أكثر من ساعتين. وكان الدكتور "**فان هايديم**" بادي الاستعداد دائمًا للإجابة عن أي سؤال، وشرح كل ما يستغلق على الضيوف.

كان الوزير في أثناء الجولة في دهاليز المستشفى وقاعاتها يتقدم الموكب، وبجانبه المضيف "**فان هايديم**"، يتبعهم الآخرون على حين تعمد "**جيسوب**" و"**ليبلان**" أن يتخلفا إلى الوراء، وأن يسيرا في نهاية الموكب.

أخرج "**جيسوب**" من جيب صِدَارِه ساعة ضخمة، تطلع إليها ثم هز رأسه صامتًا.

وقال له "**ليبلان**":

– هل وجدت شيئًا؟ ما من علامة على الإطلاق؟

هز "**جيسوب**" رأسه نفيًا، وأعاد الساعة إلى جيبه.

ومن حين لآخر كان "**جيسوب**" يتطلع إلى ساعته، و"**ليبلان**" يوجه إليه نفس السؤال: " أما من علامة..؟" ويأتيه نفس الرد: "لاشيء..! لا أثر يدل على وجودهم هنا".

وقال "**جيسوب**": لاشك في أنهم نقلوهم إلى مكان بعيد منعزل؛ حتى لانلتقي بهم في أثناء جولتنا.

فتساءل "**ليبلان**":

– إذن فكيف نحصل على الدليل؟

إننا دون دليل سنجد أنفسنا عاجزين عن اتخاذ أي إجراء.. إنك ترى أنهم جميعًا مبهورون بما يشاهدون. الوزير والسفير الأمريكي والقنصل البريطاني.. إنهم جميعًا مؤمنون بأن "**أريستيد**" رجل عظيم وفوق الشبهات.

فقال "**جيسوب**" في اقتضاب:

– قبل أن نغادر المركز سيكون لدينا الدليل المنشود.

فهز "**ليبلان**" كتفيه وقال:

– إنك يا صديقي رجل شديد التفاؤل.

فأجاب "**جيسوب**":

– هل تعلم سر الساعة التي أحملها ولاأفتأ أتطلع إليها؟ إنها أحدث الاختراعات العلمية يا عزيزي "**ليبلان**".. إنها ليست ساعة عادية، وإنما تضم في داخلها جهاز استقبال دقيق الحجم، يتلقى إشارات لاسلكية من جهاز آخر مداه مائة متر. ومازلت أتوقع أن أتلقى هذه الذبذبة اللاسلكية من زميل موجودداخل هذا المبنى.. إلا إذا كان يبعد عنا أكثر من مائة متر؛ إذ يستحيل أن تمتد الذبذبة إلى أكثر من هذه المسافة.

– إذن فهذا هو الدليل الذي تترقبه؟

– تمامًا.. ولم أفقد الأمل حتى الآن.

فقال "**ليبلان**":

– ولكن الوزير لن يأخذ بهذا الدليل.. إنه يريد دليلاً قاطعًا، لاذبذبة في الهواء.. إنه يريد أن يرى أمامه شخصًا حيًّا، يقول له إنه كان محبوسًا في هذا المركز وأنهم احتجزوه هنا.

فقال "**جيسوب**":

– سوف أقدم إليه هذا الشخص الحي.

ثم ما لبث أن أردف:

– ومع ذلك فإنني لاأعتمد في إثبات نظريتي على الوزير أو السفير أوعضو

البرلمان، فإن لرجال السياسة حساسية خاصة، يشعرون معها بالحرج لأي تصرف يبدر منهم.

فتساءل "**ليبلان**" :

– وعلى من تعتمد إذن؟

– على رجل عجوز محدودب الظهر، ثقيل السمع، ضعيف البصر.

فضحك "**ليبلان**" وقال:

– آه.. لعلك تقصد رئيس المحكمة العليا السابق؟

–تمامًا.. إنه رجل عرك الحياة وعركته، ولطول عهده بالقضاء أصبح له أنف حساس، يتشمم بسهولة أية رائحة عفنة،وإذا استراب في أمر، فلن يقعده شيء عن متابعته وتعريته والكشف عنه.. إنه رجل علمه منصب القضاء أن ينصت، وأن يتابع الإنصات حتى يقع على الدليل.. هذا الرجل هو الذي سيؤازرني في موقفي ضد السيد "**أريستيد**" .

❁❁❁❁❁

كانت جولة الضيوف قد انتهت بهم الآن مرة أخرى إلى مكتب "**أريستيد**" وقدمت إليهم المشروبات من جديد.

وهنأ الوزير السيد "**أريستيد**" بالعمل العظيم الذي يؤديه للبلاد، وانضم السفير الأمريكي يزجي الثناء.

عندئذ دار الوزير ببصره فيما حوله، وقال بلهجة تتسم بالعصبية:

– والآن أظن أيها السادة أنه قد حان الوقت لكي نودع مضيفنا العزيز..

"لقد شاهدنا كل ما نريد، ولم يعد لدينا شيء آخر يستحق المشاهدة" .

ضغط الوزير على كلمات العبارة الأخيرة، كأنما يقول لـ"**جيسوب**" و"**ليبلان**" :

"هانتم هؤلاء قد رأيتم أنكم كنتم واهمين" .

ثم استطرد:

– إن هذه المؤسسة من أعظم ما شاهدته في حياتي، ولانظير لها في العالم.والآن

اسمح لنا يا سيدي العزيز أن نودعك وأن نكرر الشكر.

كانت هذه العبارة حاسمة قاطعة، توحي بما يجول في ذهنه.. كان يريد أن يقول:

"لقد انهارت شكوككم أيها السادة.. ها نحن أولاء قد طفنا بجميع أرجاء المبنى، ولم نشهد أثرًا لهؤلاء العلماء، الذين زعمتم أنهم سجناء وراء هذه الجدران. فهل طاروا في السماء، أم انشقت الأرض فابتلعتهم؟ إنني الآن مرتاح الضمير، وأستطيع أن أبرح المكان مطمئنًا".

وقبل أن يهم الوزير قائمًا ارتفع صوت من أقصى.. يقول:

– إذا أذنتم لي يا سيدي الوزير، فإني أحب أن أسأل مضيفنا الكريم منّة صغيرة.

فقال الوزير:

– آه.. بالتأكيد.. بالتأكيد.. لا مانع يا سيد.. يا سيد "**جيسوب**"

وقال الشرطي الإنجليزي يخاطب السيد "**أريستيد**":

– لقد التقينا في أثناء جولتنا بالعديد من رجالك ومعاونيك، ولكني أحب أن ألتقي بصديق قديم موجود هنا، فهل يمكن أن تأمروا باستدعائه؟

فقال الدكتور "**فان هايديم**" في استغراب:

ألك صديق هنا يا سيد "**جيسوب**"؟

فقال "**جيسوب**":

– بل الواقع أن لي صديقين هنا:

سيدة تدعى السيدة "**بيترتون**"، و"**بيترتون**" الذي كان يعمل في "**إنجلترا**" في مركز "**هارويل**" العلمي، وقبل ذلك كان مقيمًا في "**الولايات المتحدة**".. فهل يمكن قبل أن أنصرف أن أتحدث إليهما؟

كان رد الفعل عند الدكتور "**فان هايديم**" رائعًا، يدعو إلى الإعجاب..

لم ينم وجهه عن أثر المفاجأة، وإنما قطب جبينه في دهشة خالصة، وأخذ يردد:

– "**بيترتون**".. السيدة "**بيترتون**".. لا أعتقد أن لدينا هنا أحدًا بهذاالاسم.

واستطرد "**جيسوب**":

– ويوجد هنا أيضًا شاب أمريكي يدعى "**آندرو بيترز**"، ومهنته باحث

كيميائي فيما أعتقد..

والتفت إلى السفير الأمريكي قائلاً:

– أليس كذلك يا سيدي؟

تريث السفير الأمريكي برهة، فهو دبلوماسي، يزن موقع قدمه بدقة قبل أن يتقدم خطوةواحدة.

ثم قال:

– تمامًا.. تمامًا.. "آندرو بيترز".. إني أحب أن أقابله.

ازدادت دهشة "**فان هايديم**"،وبدت أصيلة لازيف فيها. وقال:

– "**آندرو بيترز**"؟ أخشى ياسيدي السفير أن تكون المعلومات التي لديكم غير دقيقة فليس لدينا أحد بهذا الاسم، بل إني لم أسمع بهذا الاسم من قبل.

فقال "**جيسوب**" في إصرار:

– ولكنك سمعت باسم "**توماس بيترتون**"؟

تردد "**فان هايديم**" برهة، وألقى بنظرة خاطفة نحو مولاه المليونير، ثم تمالك نفسه وقال:

– "**توماس بيترتون**"؟ آه.. أظن أنه..

وانبرى أحد الصحفيين قائلاً:

– "**توماس بيترتون**"؟ لقد كان حديث الصحف منذ ستة أشهر عندما اختفى فجأة.. نعم، كان في "**باريس**" لحضور أحد المؤتمرات، فإذا به يتخلف عن الجلسات ويختفي، وقد بحث عنه البوليس في كل مكان، دون أن يهتدي إلى أي أثر له..

– هل تريد يا سيد "**جيسوب**" أن تقول إنه كان موجوداً هنا طوال الوقت؟

زايل "**فان هايديم**" هدوءه، ومضى يتكلم في عصبية وانفعال.

قال:

– أخشى يا سيدي أن يكون بعضهم قد زودك بمعلومات غير صحيحة.. تلك دون شك شائعة كاذبة.. إنك رأيت جميع من يعملون لدينا.. إنك رأيت كل شيء هنا.

فقال "**جيسوب**" في إصرار، ولكن في هدوء:

– كلا.. إننا لم نر كل شيء،ولم نر كل من يعملون هنا.

واستطرد:

– هنا مثلاً رجل يدعى "**إيريكسون**".. وهنا أيضًا الدكتور "**لويس بارون**"، ومن المحتمل أن تكون السيدة "**كالفين بيكر**" موجودة هنا أيضًا.

وبدا على الدكتور "**فان هايديم**" أنه ذكر فجاة شيئًا كان غائبًا عنه، فقد قال:

– آه.. ولكن هؤلاء القوم قتلوا جميعًا في "**مراكش**" في حادث سقوط طائرتهم.. إنني قرأت هذا النبأ في الصحف منذ أسبوعين. إنني على الأقل متأكد من اسمين منهما. "**إيريكسون**" والدكتور "**بارون**"...

واستطرد:

– لقد منيت "**فرنسا**" بخسارة جسيمة، فإن الدكتور "**بارون**" من كبار العلماء الذين لايعوضون..

أما السيدة "**كالفين بيكر**"، فلا أعرف شيئًا عنها، وإن كنت أذكر أنه كانت بين ركاب الطائرة سيدة إنجليزية أو أمريكية لاأدري، وربما كانت هذه السيدة هي السيدة "**بيترتون**"إن لم تخدعني ذاكرتي.

فقال "**جيسوب**":

– إذن فانت مصر على أني مخطئ، وأن هؤلاء القوم غير موجودين هنا؟

فقال الدكتور "**فان هايديم**":

– وكيف يكونون هنا وقد قتلوا جميعًا في حادث الطائرة؟ إنني أتذكر أن البوليس قد عثر على جثثهم بين الحطام.

فقال "**جيسوب**" في كلمات بطيئة متمهلة، ليكسبها مغزى خاصًا:

– ولكن الجثث جميعًا كانت متفحمة، بحيث استحال التعرف إليها ومعرفة شخصيات أصحابها.

ومن أحد أركان القاعة ارتفع صوت أجش يتكلم، وإن كان صوتًا صارم النبرات.

قال الصوت:

– هل أفهم من قولك هذا أنه لم يمكن التعرف على أصحاب الجثث التي

وجدت بين الحطام؟

كان المتكلم هو ذلك العجوز اللورد "**الفيرستوك**"، الرئيس السابق للمحكمة العليا.

فقال "**جيسوب**" مجيبًا:

– تمامًا يا سيدي اللورد. كانت الجثث متفحمة اختفت معالمها، فافترض البوليس أنها جثث ركاب الطائرة، المدونة أسماؤهم في السجل، ولكن لدي من الأسباب ما يدفعني إلى الاعتقاد بأن ركاب الطائرة نجوا من الفاجعة ومازالوا أحياء.. هذا هو اعتقادي.

فقال الرئيس السابق للمحكمة العليا في نبرة من الامتعاض:

– اعتقادك؟ إن ما يعتقده الإنسان ليس دليلاً.

فقال "**جيسوب**":

– بل إن الدليل حاضر يا سيدي اللورد.

– إذن ما هو الدليل يا سيد "**جيسوب**"؟

أجاب "**جيسوب**":

– في اليوم الذي غادرت فيه السيدة "**بيترتون**" "**فزان**" إلى "**مراكش**" كانت تتزين بعقد من اللآلئ المقلدة، وقد عثرنا على حبة من هذا العقد على مسافة ثمانمائة متر من حطام الطائرة.

فعاد القاضي القديم يتساءل في لهجة المحقق القدير:

– وأنّى لك أن تتأكد من أن الحبة التي عثرتم عليها هي من نفس العقد الذي كانت السيدة "**بيترتون**" تتحلى به؟

– لأن بجميع حبات العقد علامة سرية لاترى بالعين المجردة، وإنما تظهر تحت العدسة المكبرة، وكانت الحبة التي عثرنا عليها مرسومة بنفس العلامة.

– ومن الذي وضع هذه العلامة على حبات العقد؟

– أنا بنفسي يا سيدي اللورد.

واستطرد اللورد:

– أكان لديك سبب لهذا؟

– نعم يا سيدي اللورد.. كان لديّ ما يحملني على الاعتقاد بأن السيدة "**بيترتون**" ستقودني إلى زوجها، الذي كان قد صدر الأمر بالقبض عليه؛ لإفشائه معلومات تمس أمن الدولة.

واستطرد "**جيسوب**" :

– ولم تكن اللؤلؤة المُعلَّمة التي عثرنا عليها بالقرب من حطام الطائرة هي الوحيدة، بل عثرنا على لؤلؤتين أخريين على طول الطريق، بين الموضع الذي احترقت فيه الطائرة، وبين المكان الذي نحن فيه الآن. وقد أسفرت التحريات التي قمنا بها في الجهات، التي عثرنا فيها على حبات اللؤلؤ عن مرور أشخاص بهذه المناطق، وأوصافهم العامة تتطابق مع أوصاف ركاب الطائرة المحترقة. وتابع "**جيسوب**" الحديث قائلاً:

– وليس هذا فقط، بل إنني كنت قد زودت أحد ركاب الطائرة بقفاز، على كفه طلاء بالفوسفور، وطلبت إلى هذا الشخص أن يخرج يده المكسوة بالقفاز من نافذة السيارة أثناء الليل عند مروره بالقرى، فيضيء الفوسفور في الظلام، فيتناقل الناس أن يد الشيخة "**مبروكة**" ظهرت في هذه القرى، وتبلغنا الشائعة بالتأكيد، وبذلك يسهل علينا اقتفاء أثر هذه الجماعة.

فقال القاضي القديم متسائلاً:

– الشيخة "**مبروكة**"! ومن تكون الشيخة "**مبروكة**" هذه؟

فأجاب "**جيسوب**" :

– الشيخة "**مبروكة**" في نظر السذج من أهل هذه البلاد امرأة خيِّرة، وهم يعتقدون أنه إذا ظهرت يدها، التي تشع نوراً لأحد الناس حلت عليه البركة والخير، فرأيت أن أستغل هذا الاعتقاد؛ لتسهيل مهمة المطاردة والمراقبة على رجالي. وفعلاً ظهرت يد الشيخة "**مبروكة**" من نافذة سيارة كانت في طريقها إلى هذا المركز العلمي.

هز اللورد "**ألفيرستوك**" رأسه المجلل بالشيب، وتألقت عيناه تحت حاجبيه الكثيفين وقال:

– رائع.. رائع.. تدبيرات تدل على الدهاء.

تململ السيد "**أريستيد**" في مقعده الكبير، ورمش بطرفه مرة أو مرتين أثناء هذه الرواية، على الرغم مما يتسم به من ثبات الأعصاب.

اعتدل القاضي في مقعده، ونصب قامته ثم أطلق سؤاله الحاسم:

– وأين اهتديتم إلى الآثار الأخيرة لهذه الجماعة من الناس؟

– في مطار حربي مهجور من مخلفات الحرب الماضية.

وبسط "**جيسوب**" وصفًا دقيقًا لموقع المطار.

وقال السيد "**أريستيد**" معقبًا:

– هذا المطار يقع على بعد مئات الكيلو مترات من هذا المركز العلمي، فإذا نحن افترضنا جدلاً أن حادث احتراق الطائرة كان مصطنعًا، وأن ركاب الطائرة نقلوا بعد ذلك إلى المطار المهجور، فمن أين لك أن تعرف أنه جيء بهم بعد هذا إلى مستعمرة الجذام؟

فأجاب "**جيسوب**":

– إن لدي أسبابًا قوية تؤيد هذه النظرية.. لقد بعثنا بإحدى الطائرات تمسح المنطقة المشكوك في أمرها، وقد طارت في أثناء بحثها فوق هذا المبنى على ارتفاع منخفض جدًا، وفي أثناء طيرانها تلقى الطيار إشارة لاسلكية خاصة، كان متفقًا عليها مع شخص من ركاب الطائرة، كنا قد زودناه بجهاز إرسال لاسلكي يرسل ذبذبة معينة، وبذلك نهتدي إلى مكان حامل الجهاز.. وفهمنا من هذه الإشارة اللاسلكية أن الجماعة التي نبحث عنها موجودة في مستعمرة الجذام.

قال السيد "**أريستيد**" محتدًا:

– يا سيد "**جيسوب**"، ولكنني مازلت أعتقد أن هناك مؤامرة مدبرة لتضليلك وإيقاعك في الخطأ. فإن هذه الجماعة التي تحدثت عنها غير موجودة في مستعمرة الجذام.

ثم استطرد في نبرة قاطعة:

– ومع ذلك فإن لك مطلق الحرية في أن تفتش هذا المبنى إن شئت.

أجاب "**جيسوب**":

– وما الفائدة يا سيدي؟ إن تفتيش هذا المبنى لن يسفر عن شيء على الإطلاق، ثم إننا رأينا منه أثناء تجوالنا ما فيه الكفاية، فلاداعي للقيام بجولة أخرى.

فقال "**أريستيد**" :

– إنك تناقض نفسك يا سيدي..

كيف تؤكد أن الجماعة موجودة هنا، وفي الوقت ذاته تقول إن تفتيش البناء لن يسفر عن العثور عليهم.

– هذا لأنني أعرف أنهم موجودون في مكان سري خفي.

– وأين هذا المكان السري الخفي؟ هل تستطيع أن تحدده..؟

فابتسم "**جيسوب**" وأجاب:

– إنه في الدهليز الرابع المتصل بالمعمل الثالث، في أقصى الردهة التي تنحرف يساراً.

تململ الدكتور "**فان هايديم**" في مقعده بحركة مفاجئة، وثبت نظارته على عينيه، فافلتت من بين أصابعه المرتعشة ووقعت فوق السجادة، فانحنى يلتقطها.

تطلع إليه "**جيسوب**" باسماً وقال:

– هانتذا ترى يا دكتور أن معلوماتنا مؤكدة وصحيحة.

قال الدكتور "**فان هايديم**" في انفعال:

– هذه إهانة! إهانة شديدة! أتريد أن تزعم أننا نسجن هنا بعض الناس رغماً عن إرادتهم؟ إنني أنكر كل هذا إنكاراً قاطعاً.

فقال "**جيسوب**" :

– أتدري كيف عرفت أن العلماء في هذا المكان السري من المبني..؟ إن رجلاً من أعواني قد خدعكم وانضم إليكم على أنه واحد من العلماء، ومع مساعدي هذا جهاز لاسلكي يرسل ذبذبة معينة..

وعند مروري بالدهليز الرابع، تلقى الجهاز الذي أحمله داخل ساعتي هذه الذبذبة الصادرة من الجهاز الآخر.

وقال الوزير في صوت يخالجه التردد:

– لقد انتهينا إلى موقف دقيق.. هذا يؤكد وذاك ينكر بنفس القوة والحماس.

تكلم المليونير.. قائلاً في هدوء:

– إن ما سمعناه قصة طريفة مسلية، ولكن كل ما جاء بها مجرد افتراضات وتكهنات، لاتعدو أن تكون شبيهة بالروايات البوليسية، ولهذا اسمحوا لي أيها السادة أن أقول إن الوقت قد حان لكي تنصرفوا؛ فإن لديّ أعمالا جمة تدعوني إلى العودة إلى "**إسبانيا**" فورا، كما أن موعد رحلتكم قد فات منذ وقت غير قصير، فإذا تأخرتم أكثر من هذا أثرتم القلق في البلاد؛ إذ سيتبادر إلى الأذهان أن طائرتكم تهشمت في أثناء رحلتها.

تبادل "**جيسوب**" و"**ليبلان**" النظرات، فقد أدركا أن الموقف أصبح حاسمًا، وأنه وصل إلى نقطة المواجهة الصريحة القاطعة.

إن السيد "**أريستيد**" يستنجد الآن بكل نفوذه ومكانته، للقضاء على الشكوك التي ثارت،وهو يتحدى هؤلاء القوم بكل ما لديه من شجاعة، محاولاً أن يفرض عليهم إرادته.

والوزير في حرج من أمره، لايدري كيف يتصرف، إذ لاشك في أن رئيس الحكومة طلب أن يكون مرنًا وعلى حذر..

ومدير الشرطة حريص على أن يرضي الوزير وأن يمالئه ويجاريه.. والسفيرالأمريكي قد يكون مقتنعًا إلى حد كبير، ولكنه بحكم منصبه حريص على أن يكون لبقًا؛ حتى لايتورط في أزمة سياسية.. أما القنصل البريطاني فمنصبه لايسوغ له أن يتحدى الآخرين.

تطلع "**جيسوب**" إلى الصحفيين واحدًا بعد الآخر.

إن أمله معلق بهم، ولكنه ما كان ليجهل أن السيد "**أريستيد**" يستطيع أن يشتريهم، وقد يكون الثمن باهظًا، ولكنه على أية حال يستطيع أن يطويهم.

وأخيرًا استقر نظر "**جيسوب**" على الرجل العجوز. هذا القاضي القديم.. الرئيس السابق للمحكمة العليا.

كان منكمشًا في مقعده، ومن تحت حاجبيه الكثيفين نافري الشعر، كأنهما

شجرة صغيرة كانت عيناه تبرقان.

تأمله "**جيسوب**" برهة، ثم قال في نفسه: " نعم.. هذا هو الرجل الذي لايستطيع أحد أن يشتريه!"

أفاق "**جيسوب**" من خواطره على صوت صارم النبرات، هو صوت القاضي القديم.

كان الصوت الصارم يقول:

– إنني أرى أن نتريث قليلاً، وألا نبادر بالرحيل.. إن أمامنا الآن قضية في حاجة إلى المزيد من التحقيق لاستجلاء غوامضها.. هناك اتهامات خطيرة وجهت، وما كان ينبغي أن توجه، كما أنه لاينبغي أن نسقطها من حسابنا دون تقدير.. وإنصافًا للعدالة وإحقاقًا للحق يجب أن نتيح كل فرصة لتفنيد هذه الاتهامات، أو إقامة الدليل عليها.

فلوح السيد "**أريستيد**"، وقال مشيراً إلى "**جيسوب**":

– إن البينة على من ادعى، فعليك أن تقيم الدليل على ما تقول.. إنك نثرت الاتهامات يمينًا وشمالاً، دون أن يدعمها سند من البرهان.

– كلا أيها السادة، إن البرهان حاضر موجود.

لم يكن "**جيسوب**" هو الذي نطق بهذه العبارة، ولم يكن "**ليبلان**"هو الذي تفوه بها.

كان الصوت صادراً من أقصى ركن في القاعة.. كان صادراً من خادم مراكشي من البربر له وجه شديد السمرة، يكاد لونه يضرب إلى السواد.

استدار الدكتور "**فان هايديم**" في حركة عنيفة، يتطلع في دهشة إلى الخادم المراكشي.واستقرت عليه أيضًا أنظار الجماعة كلها مشدوهة، واستطرد الصوت يقول في هدوء:

– نعم .. إن الدليل حاضر أيها السادة .. إن لكم أن تأخذوا بشهادتي في التو واللحظة.. لقد أنكر هؤلاء السادة وجود أفراد هذه الجماعة هنا: "**آندرو بيترز**" و"**توركيل إيريكسون**" والسيد والسيدة "**بيترتون**"، والدكتور "**لويس بارون**".

ولكنه إنكار كاذب، فجميع هؤلاء..جميعهم موجودون هنا، وأنا أتكلم باسمهم وبالنيابة عنهم.

تقدم الخادم المراكشي خطوة إلى الأمام، ووقف أمام السفير الأمريكي وقال يخاطبه:

– قد يكون من الصعب عليك أن تعرفني يا سيدي السفير وأنا على هذه الهيئة؟

تأمله السفير الأمريكي برهة، وأمارات الحيرة تتراءى على وجهه .

واستطرد المراكشي ذو الوجه الأسود:

– سيدي السفير. إنني **"آندرو بيترز"** !

وبدرت شهقة خافتة، غير ملحوظة من بين شفتي السيد **"أريستيد"** ، ولكنه ما لبث أن استعاد ثباته ورباطة جأشه.

واستطرد **"آندرو بيترز"** :

– وهؤلاء ليسوا هم الوحيدين الموجودين هنا، فهناك غيرهم كثيرون: **"شوارتز"** من **"ميونخ"** ، و**"هيلدا نيدهايم"** ، وكذلك **"جيفري"** و**"دافيدسون"** العالمان الإنجليزيان الشهيران، وهنا أيضًا **"بول ويد"** من **"الولايات المتحدة"** ، وكذلك الإيطاليان **"روكو شيتو"** و **"بيانكا"** ، وأيضًا **"مارشيسون"** .. وغيرهم كثيرون.. كل هؤلاء موجودون هنا.. في هذا المبنى..

وتابع الحديث قائلاً:

– في هذا المبنى أيها السادة جناح سري يسمى قاعة الطوارئ، لها باب سري في جدار أحد الدهاليز لايتأتى لعين أن تتبينه؛ لأنه لايتراءى إلا كجزء من الحائط.

هتف السفير الأمريكي:

– يا إلهي.! هذا صحيح إنك فعلاً **"آندرو بيترز"** ولكن ما هاتان الشفتان الغليظتان؟

فابتسم الخادم المراكشي قائلاً:

– حقنة واحدة من البارافين في الشفتين تكسبهما هذا الغلظ، أما لوني فمرجعه صبغة دهنت بها وجهي.

ثم استطرد:

– وحين قال لكم السيد **"جيسوب "** إن له مندوبًا اندس بين العلماء، فإنما كان يعنيني بهذا القول، فأنا الذي أرسلت الإشارة اللاسلكية بشفرة **"مورس"**إلى الطيار

الذي كان يحوم فوق المستعمرة.

وأخرج من جيبه علبة سجائر كبيرة الحجم، ومصنوعة من غلاف إحدى القنابل، وقال:

– إن جهاز الإرسال الذي معي مخبأ داخل هذه العلبة.

فقال السفير:

– إذا كنت حقًّا "**آندرو بيترز**"، فما رقمك السري في المخابرات؟

فأجاب على الفور: 813471 ياسيدي.

– تمامًا.. وما رموز اسمك الحركي السري؟

– ب.أ.ب.ج يا سيدي.

– تمامًا.. تمامًا.. هذا الرجل هو "**آندرو بيترز**" دون شك.

تنحنح الوزير وجلا صوته، ثم قال في شيء من التردد:

– هل تزعم أن هؤلاء القوم مسجونون هنا كرهًا عنهم وعلى غير إرادتهم؟

– بعضهم فقط، أما البعض الآخر فرغمًا عنهم يا سيدي الوزير.

فقال الوزير:

– في هذه الحالة يجب اتخاذ الإجراءات الكفيلة بالتحقيق في هذا الادعاء.

تطلع الوزير إلى مدير الشرطة، فتقدم هذا خطوة إلى الأمام.

ولوح السيد "**أريستيد**" بيده قائلاً:

– لحظة أيها السادة.. يبدو لي مما سمعت أن القائمين على إدارة هذا المركز العلمي قد خانوا الثقة التي وضعتها فيهم– هذا إذا صحت مزاعم السيد "**جيسوب**".

ونقل نظراته الباردة الصارمة من الدكتور "**هايديم**" إلى مدير المركز، وكان منطويًا في نظراته على أمر صادر إليهما بأن يلزما الصمت. وكان على يقين بأن أمره مطاع، فبأمواله يشتري سكوتهما، وبنفوذه يخرجهما من ورطتهما واستطرد:

– إن ما أقدمتما عليه أيها السيدان أمر خطير، لا يبرره حماسكما للعلم.. لقد أنشأت هذا المركز خدمة للإنسانية وتدعيمًا للبحث العلمي الخالص، وبعد ذلك نفضت يدي من إدارته الفعلية. فإذا صح يا عزيزي المدير أن في المركز قومًا

محجورين على غير إرادتهم، فإني أشير بأن تبادر على الفور بإطلاق سراحهم.

قال مدير المركز:

– ولكن يا سيدي.. إنني..

فقاطعه السيد "**أريستيد**" :

– نعم.. يجب أن تنتهي هذه التجربة على الفور.

ثم استدار إلى ضيوفه قائلاً:

– لا أحسب أيها السادة أنني في حاجة إلى أن أؤكد لكم أنه لاشأن لي مطلقًا بما يجري هنا.. لقد خان القائمون على هذا المركز ثقتي وحق عليهم العقاب.

وكانت كلماته أمرًا قاطعًا لا رجعة فيه ،أولا: بسبب ثروته، وثانيًا: بسبب نفوذه ومكانته..

إن أحداً لن يجرؤ على أن يتعرض له بسوء، وحتى أعوانه لن يستهدفوا للعقاب؛ فإن نفوذه كفيل بإنقاذهم.

إن السيد "**أريستيد**" المليونير المعروف، والمحسن الكبير والرجل المرموق في عالم المال، الذي يسيطر على البنوك والمؤسسات التجارية والصناعية يجب ألا يتورط اسمه في هذه المشاكل، أو أن يمسه أحد بكلمة.

وكان السيد "**أريستيد**" على يقين، لا تخالجه ذرة من الشك في أن هذه الفضيحة ستطوى في طي الكتمان.

واستطرد:

– نعم أيها السادة.. إنكم تعلمون جميعًا أنه لاشأن لي إطلاقًا بما حدث هنا.. كل مهمتي هي أن أقدم المال للبحث العلمي؛ خدمة للإنسانية..

والآن أرجو أن تسمحوا لي بالانسحاب، فقد حان موعد سفري.

ونهضوا وقوفًا، وانحنوا جميعًا تجلة واحترامًا، وكان الوزير والسفير وعضو البرلمان هم أكثر الناس انحناء..!

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها . . .

سارع في إرسال طلبك !

1	ابنة الفراعنة	23	جريمة على ضفاف النيل
2	جريمة الفندق	24	الجرائم الثلاث
3	أخطاء القضاء	25	جريمة في بيت الطالبات
4	أدلة الجريمة	26	جريمة في الجو
5	الإرث الدامي	27	جريمة في الصحراء
6	أصابع الاتهام	28	جريمة في قطار الشرق
7	امرأة خطرة	29	جريمة قتل
8	بيت الأحلام	30	الجريمة الكاملة
9	بواعث الجريمة	31	امرأة في مأزق
10	بيت الأهوال	32	الجريمة المستحيلة
11	التضحية الكبرى	33	الجريمة المعقَّدة
12	الضحية	34	الشاهدة الوحيدة
13	الجثة التي اختفت	35	جزيرة الموت
14	الجثة الثانية	36	جنون الانتقام
15	جثة في المكتبة	37	الحادث
16	الجريمة الأخيرة	38	الحب الذي قتل
17	جريمة أم	39	الرجل الرابع
18	جريمة فنية	40	ذات القناع الأسود
19	جريمة بلا شهود	41	ذات الوجهين
20	الجريمة تدق الباب	42	رجل بلا وجه
21	اللغز المثير	43	غانية باريس
22	جريمة عائلية	44	رصاصة في الرأس

45 رعب في المدينة
46 الزائر الغامض
47 ساعة الصفر
48 السر الرهيب
49 ساحر النساء
50 سر القصر الكبير
51 سر المنبهات السبعة
52 سيدة القصر
53 شاهد للتحقيق
54 الشاهد الصامت
55 نقطة الدم
56 الشبح القاتل
57 شرخ في المرآة
58 الشيطان امرأة
59 إخناتون
60 الطائر الجريح
61 الطائرة المفقودة
62 الطيور السوداء
63 عدو بلا وجه
64 العميل السرّي
65 العنكبوت
66 الفخ
67 القاتل الرابع
68 القاتل الغامض
69 القاتل والمقتول
70 قاتل المليونير
71 القصاص
72 القصر الرهيب
73 القضية الكبرى
74 الكأس الأخيرة
75 كلب الموت
76 ليل ليس له آخر
77 مأساة ذات ثلاثة فصول
78 الماضي الرهيب
79 المتهم البريء
80 المتهمة البريئة
81 المصيدة
82 مغامرات بوارو
83 الثعلب
84 الموت المقنع
85 موعد في بغداد
86 موعد مع الموت
87 نادي الجريمة
88 الوصية المفقودة
89 الجريمة المزدوجة
90 الياقوتة الحمراء
91 جريمة بلا شك
92 غريم بوارو
93 وجه من الماضي
94 خاتمة المآساة
95 الحصان الشاحب